

روایات عبری



کارین فان درزی

# لولا هیسایمی

liilas.com



nebawebas

## ١- لا وقت لدي

انهمكت جاكليين كثيراً بتهيئة حاجاتها خلال الأسابيع التي سبقت سفرها الى أفريقيا الغربية، فبدت كلعبة أوتوماتيكية تدور بجنون واضطراب وسط دوامة من نشاط متزايد. فلا بد لها من الحصول على تأشيرة الدخول اللازمة، واجراء التلقيحات وشراء ما يلزم. وحزم الحفائب، وتوديع الأصدقاء.

استقرت جاكليين في الطائرة. وما من شيء أمامها إلا أن تأكل وتشرب وتنام. وفجأة اعتراها قلق غامض. مما لا شك فيه أنها أرادت العودة الى غانا ولكن ترى هل مستعد أمام تحديات عملها الجديد؟ وهل أدركت تماماً ما تزج نفسها به. فالعيش في بلد غريب بمفردها لكسب قوت يومها، يختلف تماماً عن العيش فيه مع والديها.

وقعت جاكولين عقد عمل لمدة سنتين، ولكنها لم تقابل بعد الرجل الذي ستعمل معه. نظرت من نافذة الطائرة المحلقة بمحاذاة الساحل الأفريقي الغربي، فرأت غابة استوائية خضراء. كانت الشمس تلمح للغيب مشبعة الدنيا بناتقها الذهبي، ومتيحة للظلام أن يحل مكانها خلال دقائق. لم تستطع جاكولين أن تطرد افكارها المزعجة وقلقها. ترى هل بلغت ثقتها بنفسها مرحلة الغرور عندما قبلت عملها الجديد كمساعدة ادارية في شركة الانتاج الغذائي الدولي المحدودة؟

تدفقت في ذهنها كلمات كريستوفر جينكنز رئيس الشركة الذي قال لها أثناء المقابلة التي جرت بينهما:

- إنه عمل غير قابل للشقاء، ومزعج يا آنسة دوني أريد أن يكون الأمر واضحاً تماماً.

رئت هذه الكلمات في أفئتها كدججات من الفزع، فقالت لنفسها لا تكلمي مضحكة، فهذا النوع من العمل لا يحتاج إلا الى الثقة بالنفس، والاصرار، وبعض الخبرة. وهذا متوفر لديك.

كانت جاكولين تدرك بجرارة ان مظهرها لا يوحي بمطلق الجاهل، ولهذا فملكها شعور طبيعي بعدم كفاءتها. كم ثقت لو أن مظهرها يتناسب مع أحوالها الثلاثة والعشرين، لكن الكثيرين يعتبرونها مجرد طالبة مدعوة سبياً وأن شعرها ذهبي مجعد، وحيثها زرقاوين، وقامتها لا تتجاوز الخمسة أقدام وستمترين. لم يكن باليد حيلة إلا إذا قُبِحت رئيسها الجديد كشخص فعال دون النظر الى هذه الصفات الشكلية.

نظر جينكنز الى جاكولين عاقداً ما بين حاجبيه نظرة أففقتها عندما استفسرت عن شخصية رئيسها الجديد ماتيو سيمونز وقال:

- إنه قاس يا آنسة دوني، مجذ ومنكب على العمل، وسيطلب منك بذل كل قوة من امكاناتك.

حسناً إنها قاسية أيضاً، ومجدة ومجدة لعملها، فأهلاً وسهلاً بماتيو سيمونز هذا الذي سيطلب منها تسخير كل إمكانياتها.

شعرت جاكولين بيد السيدة تورنر التي كانت تجلس الى جوارها، تلمس فراعها، فنظرت الى عينيها الرماديتين الصافيتين. كانت السيدة تورنر

قصيرة بدنية ومنمعة بالحنان والصدقة.

- تبدين متعبة يا عزيزتي.

- أشعر بالمل في رأسي سأرى إن كان لدى المضيعة بعض الأسبرين.

خرجت جاكولين من مكانها متخطية السيدة تورنر وزوجها الأشيب لتبحث عن المضيعة، فبدت الطائرة لها قافلة كركابها، إذ مضى على مكوثهم بداخلها عشر ساعات. تحدد معظم ركابها باسطين أقدامهم وأيديهم بلا حيوية ونشاط. أخذت جاكولين الأسبرين من المضيعة وابتلعت مع قليل من الماء، ثم ناضلت وسط الزحام كي تعود إلى مكانها، وأخذت تفكر بما يحول في ذهن السيد والسيدة تورنر.

لمعت عينا السيد تورنر البتتان بضحكة قائلة:

- منصل بعد وقت قصير.

كان السيد تورنر مزارعاً من ميشوتا اصطحب زوجته في هذه الرحلة التي تطلبت منها شجاعة كبيرة، كي يشهدا حقيقتها المولودة في أكرأ وما ان علما ان جاكولين أمضت أعوامها الدراسية في أفريقيا، حتى انهال عليها بوابل من الأسئلة: عن الشعب؟ والطعام... والطقس... وطرحا عليها بعض الأسئلة الشخصية فيما إذا سعتها أفق مثلاً؟ أو هل أصبحت بالملازمة؟ وكيف وصلت الى غانا أول مرة؟ وهل كان والدها موطفاً؟

- لا... لا، ضحكت جاكولين قائلة، لقد عمل والدي في شركة التنمية الدولية...

وأخبرهم الكثير عنها وعن عائلتها عندما سكنوا في سويسرا وتركيا وكم كانت تفكر بالسفر عبر البحار متى نالت شهادتها. سألها السيد تورنر:

- ما طبيعة عملك في أكرأ؟

- سأعمل في شركة الانتاج الغذائي الدولي. إنها شركة خاصة تساعد الدول في تنمية إنتاجها الغذائي.

وبما أن السيد تورنر كان مزارعاً، فقد راق له الأمر كثيراً، وانهال عليها بوابل آخر من الأسئلة التي أجابته عليها على أحسن وجه.

صاد صمت قصير بينهم، كان الظلام قد حل على المدينة، فلم تشاهد



جاكولين سوى بعض الأنوار الثلاثة هنا وهناك، فتفتت الصعداء إذ كانت ترغب بالخروج من جو الطائرة الحار، والمشيّع برائحة الأطعمة والحليب الفاسد، ورائحة التبغ والتابلون الدافئ.

بدا هبوط الطائرة وشيكاً، وأخذ الركاب ينهضون من سباتهم مما أخفى على جو الطائرة نشاطاً. ربطت أحزمة الأمان، ووضعت الأشياء في حطاب اليد، كما أخذ الأطفال يصرخون بالتسجام مع بعضهم بعضاً، عندما حاول أهلهم إعادتهم لمقاعدهم ليعيدوهم عن جناح الطائرة.

وبدهشة كبيرة، وصبر نافذ حدثت جاكولين من النافذة لتري اكرا تلالاً بأضواء مرصعة كالنجوم. اتحت السيدة تورنر أيضاً، ثم ضحكت وهزت رأسها قائلة:

- يبدو أن اكرا مدينة حقيقية، إنني أشعر بالغياذ اذ لم أتصورها إلا مدينة ذات أكواخ من اللبن، ومواطنات نصف غاريات، وبفيلة.

ضحكت جاكولين قائلة:

- نعم هناك الكثير من الأكواخ المصنوعة من اللبن، لكنك لن تشاهدي الفيلة إلا في حديقة الحيوان.

هبطت الطائرة أخيراً، وبدا الجميع في مرج ومرج، كل يريد ان يصارع الآخر، ليشق طريقه خارجاً في اللحظة نفسها.

انحشر السيد والسيدة تورنر في الصف، بينما جلست جاكولين في مقعدها تنظر ريثما نهدأ الأحوال. وما إن خرجت من الطائرة حتى لفح وجهها الهواء الحار الرطب، فعبست إذ لم تكن بحاجة لحمام بخاري في تلك اللحظة.

وصلت جاكولين إلى قسم الممارك فانتظرت دورها. وعمل الرغم من ثيابها الملتصقة على جسمها من شدة تفرقها، وحذائها الضيق، أخذت تسأل كيف ستعرف على السيد ماتيو سيمونز من خلال أوصافه المذكورة؛ رجل طويل، ثلاثة وثلاثون عاماً، شعره بني، وعيناه عسلتان، وملايين الرجال في العالم يتمتعون بهذه الأوصاف ولكن ليس هنا في اكرا.

فكثت جاكولين أخيراً من سحب حقيبتها إلى الصالة الرئيسية، ولكنهما لم

تر أحداً يشبه ولو بشكل طفيف الرجل الذي تبحث عنه. لا... لا أحد. ولم تجد أيضاً أي أثر للسيد والسيدة تورنر إذ أنها كانت آخر من هبط من الطائرة.

وبخوف كبير أخذت جاكولين تفكر ما عساها ان تفعل. لن تجد أحداً في المكتب، فالساعة تشير الى ما بعد التاسعة ليلاً، وليس لديها أية فكرة عن عنوان السيد سيمونز. اختارت في أمرها وهي تفكر بغضب وتوتر، واحتشد حولها الكثير من الشباب المراهقين يختصمون لحمل حطابها. انجذبت جاكولين بقلق الى مكتب الاستعلامات، فانزعجت الفتاة النائمة على يدها ذات الشعر المستعار الطويل وقالت:

- نعم.

أجابتها جاكولين:

- اسمي جاكولين دونلي وأود ان استفسر إن كانت لي أية رسالة.

- أية رسالة؟

تهددت جاكولين شارحة الأمر للفتاة:

- لقد أتيت لتوي من نيويورك، ولم أجد أحداً بانتظاري، فربما أجد لي رسالة لديك؟

أجابها الفتاة:

- لا شيء لدي.

وباضطراب ابتعدت جاكولين عن المكتب، واستقلت سيارة أجرة إلى فندق الكونتيننتال القريب من المطار. كانت متعبة وحائقة ولم تهتم للتكاليف، فليدفعوا ما شاؤوا إذ أنهم لم يتعطفوا بإرسال أحد لاستقبالها. في صباح اليوم التالي حاولت جاكولين الاتصال بالهاتف، ولكن عبثاً فالتخط معطل.

- أهلاً وسهلاً بك في غانا قالت هذا نفسها، ثم استرخت على السرير. - أين هو ماتيو سيمونز هذا الذي يدعي أنه بحاجة ماسة لن يساعده؟ بحثت جاكولين بين أوراقها عن العنوان، فلم تجد إلا رقم صندوق البريد. لا بد أن تجد عنوان البيت أو المكتب. لهذا حاولت جاهدة الحصول عليه عن طريق الاستعلامات فلم تفلح.

عشت جاكليين شغتها لتسيطر على غضبها التصاعد. هل هذا نادر  
شؤم يا ترى!

استغرق استئجارها عن طريق السفارة الأميركية، وشركة التنمية  
العولية ما يزيد عن الساعة. ولم تعثر على العنوان إلا بعد أن تأكدوا أنها  
ليست جاسوسة.

استقلت مرممة على أمرها سيارة أجرة سيئة من النوع الكلاسيكي.  
كان حشو فراشها خارجاً منه، ونوافذها الجانبية لا تفتح، وسائقها يقود  
بجنون.

نظرت جاكليين بعينين ملؤهما الفضول إلى شوارع أكرام النابضة بالحياة،  
فوجدت الناس هنا وهناك واقفين غير آبهين لأشعة الشمس، ولا لأصوات  
السيارات الصاخبة التي تعصم الأذان.

تنفست جاكليين الصعداء عندما رأت البناء المؤلف من طابقين يحمل  
الإشارة الزرقاء، فلم يكن من الصعب العثور عليه. ساعدتها السائق في  
عمل حقائبها إلى غرفة الانتظار، ثم تناول منها النقود بتكشيرة عريضة.  
نظرت جاكليين بدعشة إلى فتاة يافعة جلست وأمامها الآلة الكاتبة،  
كانت زيتتها متقنة، وتدلّت من أذنيها طارزان ذهيتان. ابتسمت جاكليين  
وقالت لها:

- أريد أن أقابل السيد سيمونز من فضلك. اسمي جاكليين  
دونلي.

- لحظة! إذا سمحت. كان صوت الفتاة رقيقاً وخجولاً.

هضت الفتاة مترنحة بزحما الغري، وبعد لحظة عادت لتقود جاكليين إلى  
مكتب مكيف غير وظيفي حقير.

جلس ماتيو سيمونز خلف مكتبه يوقع بسرعة بعض الأوراق. أنعمت  
جاكليين النظر به. شعره بني كثيف ممدد حول أذنيه، يرتدي قميصاً أبيض  
بتصفي كم، ويلا وبطة عتيق. رفع رأسه ووقف مصافحاً. كان طويلاً جداً  
شامخاً كالبرج أمامها. حاجباه غريبان، ولونه أسمر غامق يناسب رجلاً في  
حقول ذرة أكثر من موظف في مكتب.

تسألت جاكليين عندما قبض على يدها بشدة مصافحاً، هل لهذا علاقة  
في تحديد شخصيته؟

وسرعان ما دار في خيالتها كلمات رئيسها:

- إنه قاسي، ومجد ومكتب على العمل.

ليس في هذا من شك فهي هو يبدو قاسياً فعلاً. أصبح قلق جاكليين  
الغامض مرعباً عندما عرفته على نفسها، ولم تلمع عيناه الداكنتان بأي  
بريق، بل قدم لها بيرود كرسياً وقال:

- تفضل.

جلس إلى مكتبه، ونظر إليها بلباقة ونحورد وقال:

- ماذا يعني أن أقبل من أجلك يا آنسة دونلي؟

فتحت جاكليين فمها، ثم أغلقتها بدعشة، إذن أنه لا يعلم من تكون؟  
ثم أجابه:

- ألا تتوقع قدومي يا سيد سيمونز؟

قطب جبينه ونظر إلى مذكرته قائلاً:

- لا إلى أسف، ليس بيتنا أي موعد.

- موعداً!

لا بد أن هناك خطأ ما. لقد قطعت نصف المسافة عبر العالم لتسلم  
عملها، ويدعي ماتيو سيمونز بأنه لا يعلم بالأمر. كانت جاكليين تتوقع لقاءً  
دافئاً ودياً على الأقل. انقلبت تساقولاً لها إلى جنون انصب كالصخرة في  
معدنها. ابتلمت لعابها وقالت:

- إنني المساعد الإداري الجديد يا سيد سيمونز، فالكتب الرئيسي في  
نيويورك قد وظفني منذ ثلاثة أسابيع.

أعقب كلام جاكليين صمت جليدي، ثم نظرت إلى ماتيو سيمونز بقلق  
وقد تعاقبت على وجهه ملامح الدهشة، والتكذيب، والغضب معاً.  
تقلصت عضلات وجهه وتطايّر الشر من عينه:

- لا لست أنت. لا بد أن هناك خطأ ما.

انفجر صوته مبدأ الصمت، فشعرت جاكليين وكأنها تلقت صغعة على  
وجهها. ماذا يعني؟ عفاً يتكلم؟. حملقت في وجهه العاصف بدون أن  
تفهم شيئاً. تنهدت وقالت له:

- ماذا تعني غلطة؟ أليس بحاجة إلى مساعد إداري؟ لقد وظفوني وما

نظر إليها بحتق وقسوة وقال:

- لا أعلم أية نكتة هذه.. لم أستلم أية رسالة أو برقية تؤكد ما تقولين.. ولو كان لي علم سبق بذلك، لما سمحت لك بالقدوم.. لقد طلبت رجلاً حل وجه التحديد، إنني أرفض أن تستلمي هذا العمل. أسكتها الصدمة، ولم تفهم معنى كلماته.. انفجر غضبها مزجراً في أعناقها، حتى غدا وجهها ساخناً وأردفت:

- هل لي أن أذكرك يا سيد سيمونز بأننا نعيش في القرن العشرين، وأنك مغالط في تعصبك.

لم يأنه ماتييو سيمونز لكلامها وتابع:

- أحب أن أذكرك، أنك هنا لست في الولايات المتحدة، بل في أفريقيا.

علي أن أتكيف مع الحقائق التي تفرضها الظروف والمكان.

- وما هي هذه الظروف يا نري؟

- لا أستطيع أن أخبرك بذلك، كان عليهم أن يقدروا هذه الأمور قبل توظيفك.

صمعت جاكلين غاضبة. من يعلم أفضل منه؟ عليه أن يدرس الحقائق قبل أن يقرر. انها واثقة من المكان والظروف، ومتأكدة من أن هناك أشياء كثيرة لن تتحقق في مكان يتعطل فيه الهاتف عن العمل، ومن الصعب أيضاً العثور على قطع تبديل للسيارات عندما يحتاجها المرء. كان النظام الإداري بطيئاً ومغايراً لما اعتادته في وطنها. أن المسألة هنا تكمن في أن يراعي الإنسان مزاج الآخرين دون أن يصاب بالاحباط. ومع أن الصبر ليس من شيم جاكلين، إلا أنها تضع نفسها على المحك الآن، فقد قاومت تصرف ماتييو سيمونز وحاولت عينا أن تهدأ ما تقول... لم يكن في جمعيتها شيء. مضى وقت لا بأس به وكلامها صامتان، ثم نهض سيمونز ونادى:

- ييشنس.

سمعت جاكلين وقع خطوات مسرعة في الرواق، وما لبثت الفتاة أن

ظهرت بالباب قائلة:

- نعم يا سيدي.

- أحضري لنا بعض القهوة.

جلس ثابت وهو ينظر الى جاكلين. لم يكن رجلاً أنيقاً، لكن وجهه يوحى بالرجولة. فكرت جاكلين بمرارة أن هذا الرجل يريد أن يذلني.

- ماذا سأفعل بك الآن يا آنسة جاكلين؟

أذهلتها ثبرة صوته الا يعلم مع من يتكلم؟ هل يقظنا إحدى المرافقات العنيدات؟

- أقترح يا سيد سيمونز أن تنسى أنني أنثى، وتدعني أستلم عملي.

حاولت أن تبدو هادئة كأني رجل من رجال الأعمال. رفع ماتييو سيمونز أحد حاجبيه، وارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة قائلاً:

- أعتقد أنه من الصعب أن أنسى أنك أنثى لأن ذلك واضح من أول

نظرة.

نظرت إليه ببرود وقالت:

- إذن أعتقد أن عليك أن تتقبل هذا الواقع المر. أنا هنا ولدي رغبة

صادقة في البقاء والعمل.

- هكذا إذن؟

قرع الباب وحضرت القهوة. فقال ماتييو سيمونز:

- آسف فليس لدينا سكر. حتى أن السكر غير متوفر في المنطقة بأجمعها

هذه الأيام.

نظرت جاكلين الى عينيه، هل كان يتوقع منها أن تغضب وتصرخ مزجرة

لأنها لا تستطيع أن تشرب قهوتها بلا سكر. حسناً ستدهشه الآن.

- أعتقد أنني أستطيع أن أحمل هذه المعاناة.

تفحصها بعينين متفتحين وقال:

- إذن تحافظين على وزنك بهذه الطريقة.

حملت به دون أن تجيب فسالها:

- حسناً متى وصلت؟

- الليلة الماضية. احتست قليلاً من القهوة الساخنة.

- آسف فلم يستقبلك أحد ما، وبدا جاداً فيما يقول هز رأسه وتابع:

- إن قدومك مفاجأة لنا وأعجب لما حدث. كان عليهم أن يرسلوا برقية

تشير الى وصولك.

رفعت جاكليين كنفها وقالت:

- قد تكون البرقية موجودة في مكتب البريد مهملة، كما يحدث في كثير من الأحيان.

نظر إليها بحدّة.. ثم أسك سماعة الهاتف وأعادها الى مكانها إذ كان الهاتف معطلاً وأردف:

- لقد قطعت سبابة جمع التلغرافات أثناء عملها خط الهاتف، وسيستغرق اصلاحه عدة أسابيع.

ثم فتح الباب ونادى بيشنس، وطلب منها ان يذهب سامسون الى مكتب البريد مستفسراً عن البرقية، وتابع حديثه مع جاكليين قائلاً:

- ماذا فعلت عندما لم تجدي أحداً بانتظارك؟

- ذهبت الى فندق الكونتنتال... أخذت حماماً وقت. وهذا الصباح تناولت قطوري وتفتيت اترك.

نظرت إليه بتحد. ترى ماذا كان يتوقع منها؟

- هل كان عنواننا لديك؟

- رقم صندوق البريد فقط ورقم الهاتف والآخر معطل.

- هذا صحيح.

خلق كل منها بوجه الآخر وكأنما يقبضان بعضهما بعضاً.

ثم سالها:

- كيف عثرت على العنوان اذن؟

- انهرت وبكيت حتى اتت جدي الجنية، وارشدتني الى الطريق.

- لما تسخرين يا آسة دونلي؟

انفجرت غاضبة اذ لم تستطع كبت غيبة أملها وقالت:

- لا.. هل تريدني ان افزع فرحاً بعد ان قطعت نصف العالم لاصح

على عمل أرغب به. علمت أنك تتوق لمن يساعدك.. وانظر كيف

تتصرف... استهبال رائع... ترحيب دافئ.. وعلاوة على ذلك، فاني لا

أصلح للعمل لأنني امرأة. يبدو أنك فوجئت لأنني استطعت العثور عليك.

- اهدائي.. اهدائي.. تعالي نحكم المتعلق بيننا.

صكت جاكليين أسنانها ونظرت اليه.

- حسناً هل لدي أوراق خاصة بك؟

- لا.. أخبرني السيد جينكز انه سيرسلها لك مع نتيجة المقابلة التي

جرت بيننا. وجميع أوراقي الأخرى التي اعتقد انها لم تصلك بعد.

تهب قائلاً:

- قد يعلم الله اين اخضت هذه الأوراق.

- ستظهر عاجلاً ام آجلاً، هذا ما يحصل دائماً.

احسنى ما تبقى من قهوته وقال:

- اعتقد أنك من حملة الشهادات؟

- ادارة اعمال.

- وماذا كنت تفعلين قبل مجيئك الى هنا؟

- تخرجت لتوي.

كان هذا جزءاً من الحقيقة، ولكنها لم تحبره بأنها عملت كمساعدة للمدير في دار العجزة، وأنها عملت عدة مرات في أشهر الصيف مع العمال

المكسيكيين المهاجرين في كاليفورنيا.

وعلى الرغم من ان تلك الاعمال أكسبتها خبرة، إلا انها كانت السبب

في تأخر تخرجها عاماً كاملاً.

لن أخبره بشيء بل سادعه يظن أنني امرأة غير كفء للعمل.

تابع ماتيو سيمونز الحديث بعصية قائلاً:

- لقد تخرجت لتوك اذن... معنى هذا انهم ارسلوا لي طالبة مدروسة. يا

الهي كان عليهم ان يدركوا هذا.

شعرت جاكليين انها تغلي غضباً، ولكنها اقمعت نفسها ان تحتفظ بهدونها

وسألت ببرود:

- ماذا كان عليهم ان يدركوا يا سيد سيمونز؟

- عليهم ان يدركوا ان الشهادة ليست كل شيء.. وان الخبرة ضرورية

حنفية. يجلسون في مكاتبهم في الولايات المتحدة، ويشنون ان العمل في هذه البقاع امر مختلف تماماً، ويتطلب مؤهلات مختلفة أيضاً.

- هكذا اذن!

رفع ماثيو سيمونز احد حاجبيه بسخرية وقال:

- هل تدركين ذلك.

نعم انها تدرك الامر تماماً . . لقد علمت انه حكم عليها من اول نظرة  
على انها خريجة جديدة، وشقراء غبية . . اذن لن نثال منه الا المتعجب  
والازعاج . . انها تعلم بماذا يفكر.

- اسمعي يا آنسة دونلي . . لست مستعداً ان ادرك على العمل مدة ستة  
اشهر، لتجدي بعدئذ انك لا تستطيعين الاستمرار به. انظري جيداً،  
واندرسي الامر. هل سمعت شيئاً عما يسمونه بالصدعة الحضارية؟  
- اعتقد ذلك.

- ان هذا العمل ليس بعمل عادي في ظروف عادية . . ولن تجدي بين  
دفتي الكتب المعلومات التي تفيدك. ان الزمن وحده كفيل بهذا وانني افترض  
لهذا الوقت يا آنسة دونلي.  
علقت جاكلين قائلة:

- ألم يدرك السيد جينكنز في نيويورك هذا؟

عقد ما بين حاجبيه بغضب وقال:

- كان عليه ان يدرك ذلك. كنت واضحاً تماماً في تحديد نوعية الشخص  
الذي أريد.

وبعضية دفع بكرسيه، ونهض واقفاً، وانهم نحو النافذة. تأملت  
جاكلين منكبته العريضين القويين، وشعره الطويل المتدلي الى حافة ياقة  
القميص.

مضت لحظات مصاد الصمت خلالها، وجلس ماثيو سيمونز مرة أخرى  
الى مكتبه هادئاً ورباط الجائش وسأل جاكلين ببرود:

- أخبريني رجاء كيف تم قبولك لهذا النوع من العمل؟

نهضت جاكلين من كرسيها وقدماعا ترعيقان، والدم يتدفق في راسها.  
ودت لو تخبره بأنها ليست خريجة جديدة، وانها عاشت هنا مع عائلتها . .  
ومارست أعمالاً اكسبتها خبرة، ولكنه لم يسألها عن تلك الأمور. لهذا  
ابتسمت ابتسامة عذبة وفق ما املت عليها الظروف وقالت:

- لقد منحت العمل يا سيد سيمونز لأنني وافقت الرئيس.  
أدارت جاكلين ظهرها، وخرجت من الغرفة وقد أغلقت الباب وراءها  
بحلر.



حياتهم الفقيرة القاسية . كانت جاكلين تمنى من أعماقها أن تعود إلى أفريقيا ، وأن تخدمها بشيء له أهمية . فعن أين ظهر لها هذا الشاب المدعو سيمونز الذي يحاول أن يحطم آمالها ؟ نظرت مرة أخرى إلى المرأة ، ثم شددت كتفيها مصممة ألا تدعه يفعل . ستبقى في أفريقيا ، وستقوم بعملها دون أن تائبه لأبيه . فتحت بيشش باب الحمام ، ونظرت إلى جاكلين بحياء وقالت :

- إن السيد سيمونز يريدك .

فصحكت جاكلين في سرها ، إن السيد سيمونز لا يريدنا ، ولكنه مرغم على ذلك شاء أم أبى .

دخلت جاكلين المكتب ، رأسها مرفوع ، ونظراتها باردة ومتجاهلة نظرات ماتيو سيمونز إليها . جلست وقالت :

- يا سيد سيمونز أريد أن أعرف أين سامكت ، كي أستقر وأبأشر عملي . فقد أخبروني أنك تهتم بأمور السكن .

- هذا ما أردت أن أحدثك عنه ، فلدينا مشكلة .

- وما هي ؟

- إن ميزانية اجور السكن لا تسمح هذه الأيام بايجاد سكن ملائم ، وخاصة بعد ارتفاع اجرة المنازل للضعف والضعفين وذلك لعدم توفرها .

كانت نظراته تنم عن تعجب ، وحقد وتأملات ثم أردف :

- ومعنى آخر لن نجد سكناً مناسباً . هل هذا مفهوم ؟

- نعم مفهوم .

إذا كان هذا الشاب يستغني ليثير جنوني ، فعليه أن ينتظر مدة أطول . سأنته :

- إذن وماذا تقترح ؟

- الحقيقة أود لو أعيدك إلى وطنك على متن الطائرة التالية .

- لن تستطيع طردي ، إلا إذا أخفقت بأداء عملي على الوجه اللائق .

وإني أسخط أن أقوم به بشكل يفوق الإنفاق .

- إذن سأمنحك فرصة لتري إمكاناتك يا آنسة دوني ما دمت هنا ،

ومصممة على العمل معي . ولكنني أحذرك ، عليك أن تنفي عمالك

## ٢ - التحدي

مكثت جاكلين في الحمام عشر دقائق حاولت أثناءها أن تهديء من روعها . بدا وجهها بالمرأة شاحباً ، فلا عجب في ذلك بعد تلك الرحلة الشاقة ، والاستقبال السيء الذي لاقته . رفعت شعرها إلى الأعلى مبعدة بعض الخصلات عن عرقها ، كي تحافظ على برودتها ، ثم غسلت وجهها ، فالرطوبة مزعجة في شهر آذار مما يجعل الجو لا يطلق . وعلى الرغم من هذا فإنها ما زالت تحب أفريقيا ، وكثيراً ما حلمت بالعودة إليها لأنها أمضت فيها ثلاث سنوات دراسية كاملة . ما من شيء يحدد على وجه الدقة يشدها إلى غانا ، لكنه حين يمزج بأشياء كثيرة . إنها حرة وأمنة في شوارع غانا حتى ولو كانت وحدها ، وأهل غانا ذوو سمعة حسنة . إنها تحب نفسها نسائهم المرحه . يعيشون بسعادة ومرح على الرغم من ظروف

فليس لدي الوقت لهذه ، ولا الرغبة في تدريتك ... إني بحاجة للمساعدة ، فإن لم تتمكني من ذلك ، فساطردك وليذهب جيتكر إلى الجحيم .

تجاهلت جاكلين تهديده وعادت لتسأله :

- وماذا عن المسكن ؟

تهدد وسكت لبرهة ثم قال :

- يمكنك أن تشغلي جناح الضيوف في منزلي إذا وافقت على ذلك ... إنه قسم مستقل عن المنزل ، وله مدخل خاص ، وغرفة نوم وغرفة استقبال وحمام . أما المطبخ فستشاركيني إياه .  
- هل لدي مجال للاختيار ؟

- كلا . إلا إذا دفعت ثلاثمائة وخمسين من مالك الخاص ، وهذا المبلغ كبير بالنسبة لما تتقاضينه .

طبعاً إنها لا تستطيع دفع ذلك المبلغ ، ولكن كيف ستعيش في المكان نفسه ، ومع رجل تكرهه . ليس باليد حيلة الآن . أجابه :

- لا أعلم بالضبط ماذا أفعل ، دعني أرى المنزل .

كان المنزل قريباً من المكتب ، عبارة عن فيلا ذات شرف واسعة ، محاطة بحديقة بحاجة إلى عناية . أما أرضية الغرف فكانت من الخشب ، والمراوح تتدلى من السقف ، وجميع النوافذ محاطة بمناخل واقية من الحشرات الطائرة .

- هذا هو مسكنك . قال سيمونز هذا ، وهو يفتح باب غرفة الجلوس والطعام .

وجدت جاكلين نفسها في غرفة صغيرة ذات أبواب زجاجية تفتح على الشرفة . شاهدت غرفة النوم والحمام ، فوجدتها مقبولتين على الرغم من صغر المساحة . تابع سيمونز قائلاً :

- لم يستعمل هذا القسم على الإطلاق ، استعملت إحدى غرف النوم في المنزل من أجل الضيوف ... وفتح النوافذ ، فامتزج النسيم مع رائحة الغرف المغمبة بالعفن .

- إن المنزل بحاجة لبعض التحسينات .

- هذا واضح يجب أن تبدأ بعملية الدهان أولاً . إن حالة المنزل سيئة ، ولهذا استأجرته بشمن زعيد ، كان عليك أن تري المطبخ قبل إصلاحه .

ثم اقتربت منها ، ونظرت إليها بتحدٍ وقال :

- ماذا قررت ؟

- حسناً لا بأس به . إن كل ما أريده ، أن يكون لي مكان خاص بي .

- ساريك المطبخ وأعترف على كويس .

هذا كويس كلاعب ملاكمة أكثر منه كخادم . كان يحرك الحساء في وعاء على النار . وما أن رأى جاكلين حتى حياها بضحكة ودية عريضة ، ومد يده مصافحاً :

- أهلاً وسهلاً .

غدت إسماع كويسى أعنق بينما كان ماثيو ينظر إليها بتهكم بالغ وتابع :

- يجب أن تتعلمي لغة البلاد مع العلم أن اللغة الرسمية هي الانكليزية .

تجاهلت جاكلين تعليقه ونظرت إلى الوعاء ، فوجدت حساء النخيل مزججاً بالبهارات وبينما كان ماثيو سيمونز يفرق جاكلين خارج المطبخ إلى الغرفة الرئيسية قال :

- إن كويسى يقوم بطهي الطعام وتنظيف المنزل ، إني أعطيه التفود ، وهو يقرر ما يطعمني ، إنه يطبخ كأهل غانا ، وإذا أردت أن تتعلمي الطبخ على طراز آخر فها جداً .

حمل كويسى حقائب جاكلين إلى غرفة الجلوس فتبعه . أشار سيمونز إلى حفرة في الجدار وقال :

- آسف ، إن جهاز التكييف لا يعمل . وعندما يتم إصلاحه ، بإمكانك وضعه في غرفة النوم . لكن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً كالعادة هنا . ليس لدي مكيف آخر لتقديمه لك ، لأن الثاني يتم إصلاحه أيضاً .

علت وجهه مسحة من الإحباط . بينما عضت جاكلين شفتها ، لتكبح جماح الضحك . وإذا كان ماثيو نفسه لا يتحمل ظروف الحياة القاسية في أفريقيا ، فكيف بجاكلين وهي امرأة . لن ينيب عن غيخته افتقارهم

لشكر ، ولعجلات السيارات ، وقطع التبديل بمختلف أنواعها أو اختفاء  
سفن البحر التي وصلت الى شواطئها أو التي بقيت في الميناء لعدة أشهر .  
لم يستطيع كل غربي أن يتلاءم مع هذا النوع من الاحباط .

علي أن يعود بسرعة الى المكتبة ، فلهي موعده . ساعود بعد ساعة  
لاأناول الغذاء ، قليل اللقاه .

جلست جاكولين على السرير بخبرة في أمرها . هل تفك أمعتها ، أم  
تستقر لتنتقل الى منزلها . ستلقي نظرة اخرى على المكان . خرجت من  
الغرفة ، فوجدت كويسي في طرفها فأسأها :

هل تريدن قهوة أم ناء معدنيا ؟  
أي شيء بارد من فضلك . ماء .  
إننا لا نغلي الماء هنا يا سيدي .  
حسناً يا كويسي ، إن ماء اكرا نظيف .

هذا ما يظنه سيدي . ولكن السيدة تغليه لمدة خمس عشرة دقيقة .  
لم تعلم جاكولين فيها اذا كان ماتييو ميمونز متزوجاً أم لا ، فسألت  
كويسي :

هل تقصد السيدة ميمونز ؟  
هز كويسي كتفيه وقال :  
لا أعلم ان كانت زوجته أم لا .

إذا كان ماتييو ميمونز متزوجاً ، فعماذا ستظن زوجته بها ، اذا وجدت  
تقطن غرب الضيوف ؟

السيدة ميمونز هنا ؟  
هز كويسي رأسه وأجاب :  
لا إنها في الولايات المتحدة على ما اعتقد .

لم ترغب جاكولين ان تسأل كويسي أية أسئلة اخرى . مستكشف ذلك  
بنفسها . لا أن فككت في هذا المنزل فربما اعترضت سيدة المنزل على  
وجودها .

أعجلت جاكولين كلن الماء من كويسي ، وألقت نظرة خاطرة على  
المنزل . يحسن الدهان وضع المنزل . ويجب أن تبدل الناموسيات .

ولكنها شعرت بالراحة عندما وجدت مياه الحمام تجري ، ولقت اثيابها  
سرب من السلم . فالحشرات موجودة في كل مكان حتى في هذا الحمام  
للهمل . حشرات صغيرة لا تؤذي أحداً ، ولكنها تجتمع أسراباً اذا شعرت  
بوجود ذرة خبز صغيرة . لم تستطع والدته جاكولين التخلص من هذه  
الحشرات على الرغم من استعمالها الكثير من المبيدات . بدت الأرض  
تغطى مهملت تماماً . لا بأس سيتصلح الأمر يقليل من السم . سموت  
جاكولين ينظر الشرفة إذ ازدادت نبات البوغفيليه الأمريكي المتعش  
ببراعمه الحمراء والصفراء ، وألقت نظرة على الحديقة الخلفية ، فرأت  
نبات الموز الطويل ، وتخيّل جوز الهند الضخم موزعاً على نحو غريب .  
والى اليمين رأت منزل المخدم المغطى بنبات البوغفيليه . ستصبح الشرفة  
ملائمة للجلوس يقليل من النباتات والكواشي الجيدة .

عك ماتييو ميمونز بعد ساعة ، فتناولا طعام الغذاء المتكون من البيض  
وشرائخ الأناناس .

ارتبكت جاكولين وقالت :  
انه لطيف كبير منك يا سيد ميمونز أن تدعوني للسكن هنا . ولكن ما  
رأي السيدة في مشاركتي هذا المنزل ؟ أعني هل توافق على اقامي هنا ،  
وعلى مشاركتي لها المطبخ .

أجاب ماتييو ميمونز ببساطة :  
تفضلين دايماً ، إنها ليست زوجتي .  
وضمت جاكولين في نفسها قطعة أناناس ، ورفعت رأسها لتجده ينظر  
إليها قائلاً :

قد تظنين أنك شخص صلب . . . ولكني أريد أن أحذرك . ان  
الأكامة في هذا البلد ، تحتاج الى المزيد من قدرة التحمل . إليك أن تظني  
أنك أتيت الى هنا لقضاء اجازة .

ثم دفع كرسيه الى الخلف ، ونهض ، فتبعته جاكولين وقالت بنبوة ملؤها  
التصميم :

لم أحضر الى هنا لقضاء اجازة .  
ليدك لم تأتي . اذ عليك التكيف مع عمل صعب وظروف قاسية ،

وهذا ما لا أتوقعه منك ، أو من أية خريجة جديدة .

ازعمها بتدريج ، فنظرت الى عيشه بضراوة ، انه يشتمها كشرها عيبة قصيرة . فثقت في تلك اللحظة أن تكون سمراء طويلة ، وأن يتناسب شكلها مع عمرها ، كيلا تضطر أن تحترق هذا الممرور العملاق والمتحيز للرجال . وقابعت بثبات وبرود :  
- إن تفنك بي تسعيني .

الثقت بعينها البرهة ، فانبسم وهو ينظر اليها ، فلاحظت أن الانبسماء قد أضفت رقة على وجهه ، حتى ظنت انها تنظر الى رجل غيره وقال جيباً :  
- طبعاً ، قلنا أخطأ حسبي .  
- قداماً .

اجابت وهي تبسم بدورها . فقام ميمونز جاكين الى المكتب لتعريف على بقية الأعضاء فيه . تعرفت على بيثني سكرتيرة الاستقبال ، ثم على سامسون مراسل المكتب . كان سامسون يافعاً ونحيلًا جداً ، يرتدي سروالاً ضيقاً وقميصاً مضطرباً . حاول أن يشعرها بالعبث عندما صافحها ، ولكن تكشيرة الرخيضة أهدت الموقف .  
- إن سامسون شاب طيب ، يريد أن يؤثر في الناس لكنه لا يعرف كيف يحقق ذلك .

ضحككت جاكين معلقة :

- لاحظت ذلك .

عرقها ماتي ميمونز أيضاً على المعاصب السبد اساني . كان اساني رجلاً متقدماً في السن قصيراً ، ذا شعر رمادي عند الصدغين ، يضع نظارة سوداء أعطته طابع الرجل الاقربقي المحجور المصور في قصص الاطفال .  
- أما أوفاري ولواني فهما غير موجودين الآن ، وبعملان كمساعدتين للمدرسة في الشوارع ، رأتين للمدينة مرة أو مرتين في الأسبوع يتجاليبتان فيها بعد ثم قرع باباً آخر ودخل قائلاً :

- هذا هو ستيفن .  
يؤدي البحث في المسائل الزراعية . انظر يا ستيفن هذه هي التاجحة التي قدمها لنا الرئيس : جاكين دولي ، مساعدتنا الادارية الجديدة .

علق ستيفن قائلاً :

- أهلاً وسهلاً ، انني سعيد بلقائك ، وأتمنى أن تكون إصداقاً حتى ولو شاهدت تقارير التفقعات التي احرقها .  
تأوه ماتي ميمونز قائلاً :

- إن تقاريره مروعة ، فهو على علم بكل ما يتعلق بالماز ، ولكنه لا يستطيع أن يضيف حقلاً من الأرقام مرتين بالطريقة نفسها .

عيس ستيفن لهذا التعليق ونظر الى جاكين قائلاً :  
- انه لا يجيئ ، ولكنه لا يستطيع الاستغناء عني ، ولهذا فانه يطعني .  
اجابه جاكين ضاحكة :

- لقد سمعت ذلك .

وتذكرت مديح جينكز لستيفن وقالت :

- ولكنت يا سيد ستيفن تسمع سمعة حسنة طويلاً وعرضاً ، وسمعتك قللاً الدنيا .

رفع ماتي ميمونز نظره نحو السماء بخيبة أمل وقال متسائلاً :

- لم تقولين هذا يا جاكين ؟ ... كفاه اعتداداً بنفسه .

ثم قاما خارج الغرفة ، وهما يسعدان قهقهة سنيهن العالية قللاً الرواق .

- يبدو أن ستيفن شخص لطيف .

- من الدرجة الأولى وفي كل المجالات ، وعامل جيد أيضاً .

- لقد أحسرتي جينكز بذلك .

رماعا نظرة مقبعة بالتهكم قائلاً :

- لن أسألك ماذا أخبرك عني . . .

- تخراقات ليس إلا عراقات . . .

رفع أحد حاجبيه وقال :

- أعتقد كل ما في الأمر ؟ انني أسألك لماذا فعل ذلك .

ضحككت جاكين وقالت :

- لأن الحقيقة مؤلمة أحياناً ، ومغشوقة بالخاطر .

- مغشوقة بالخاطر ؟



- اجل لوائحهم قالوا الحقيقة ، لما وجدوا من يجرؤ على المقدم الى هنا ، ولو كانت عريضة جديدة غيبة مثلي .

- انه لمن الشيء جداً انك تصنفين القضاة الخيالية .  
كان ماتيو سيمونز مشغولاً ، فغاب عن المكتب طوال فترة بعد الظهر .  
حدثت جاكولين قليلاً مع يشنس وسامسون إذ أصبحت مسؤولة عن تنظيم أعمالها وفقاً لعملها الجديد .

شغل مكتب جاكولين الصغير جزءاً من صالة الاستقبال التي اتسعت أيضاً لمقاعد الموظفين . بدت الثرفة يدهانها الأخضر الفاتح ، ومناورها ذات الألوان الباهتة المطبوعة على الطراز الأفريقي حكيمة ومتسحة . وضعت جاكولين كرسيها مقابل النافذة عليها تنهيج بمنظر الورود . كما أدخل سامسون الى الثرفة صندوق كتب خشبي ، ومروحة ، وكرسيّاً بما ساعد على تسين الثرفة . قررت جاكولين أيضاً أن تحسن من منظر الثرفة قبل أن تكتب هي نفسها أوصاف الثرفة من غبار ، وتلف ، وذبول . تفحصت جاكولين المكتب ، فوجدت اكداً من الموضوعات الزراعية الموزعة المهملة ، فقررت إعادة تنسيقها لأن يشنس لا تستطيع القيام بهذه المهمة . ويزيد من الجهد والنشاط والتصميم ، باشرت جاكولين عملها لتثبت فعاليتها ووجودها . وسرعان ما راودت جاكولين بعض الأفكار المزعجة : ترى هل هي فعلاً تتحدى صعوبات العمل الجديد ، أم انها تتحلى ماثيو سيمونز نفسه ؟

وفي الأسبوع نفسها تناولا العشاء معاً ، وبدا سيمونز مسروراً عندما قدمت له جاكولين حساء التحميل ، وقطع لسان الجدي اللينة .

- انتهى لها حارة جداً إذ أن كويسكي يكثر من التقليل الآخر .

- صائبة . حاضر يا سيد نيمونز .

- لا داعي أن تتأدبي بهذه الصفة الرسمية . ما رأيك بماتيو فقط ؟

- بأجرب ، ان كنت مصرّاً على هذا .

- نعم أي مصر على ذلك يا جاكوي .

- انزعجت جاكولين وأجابته بحدة :

- جاكولين من فضلك .

انها لن تسمح لهذا المزعج الغريب أن يتادها جاكوي كما يفعل أصدقائنا .

- جاكولين اليس كذلك ؟

أحرق الطعام بلعومها ، ولكنها كانت معتادة على ذلك ، وتظاهرت بانها لم تشعر بماتيو سيمونز وهو يراقبها أثناء الطعام . كانت تحب طعام غانا الحار عندما كانت صغيرة . ولما كانت طائفة في المدرسة الدولية ، كثيراً ما كانت تشري مع صديقاتها قطع اللحم من الحيوانات الموجودة على قارعة الطريق . لقد ذائق كل أنواع الطعام بما فيه الأفريقي ، بما جعل والدتها توت غزراً فلربما التقطت جاكولين بعض الجراثيم التي تسبب التيفوئيد وتؤدي للموت . ولحسن الحظ لم يصب جاكولين أي ضرر حتى ولو كان عسر خضف خفيف . كان ينظر اليها عندما انتهت طعامها وقالت بلهجة دفاعية :

- يا له من طعام لذيذ . لقد استمتعت به .

- ستدعين غداً على ما اكلمه الآن لأنه سيجيب لك بعض الضيق .

- لا تقلق فلدي معدة كالخديد .

- إذن انت ضليعة من جميع النواحي .

- هزت جاكولين رأسها بحية :

- من يلذي ، ربما كنت أصعب كي اتلام مع غانا .

- استابت جاكولين من العناء الذي أخذ ينمو في أعمالها ، لم ترغب أن تكون الخلافات الشخصية بداية للعلاقة بينها . وكأنه قرأ أفكارها سألها :

- هل هناك من شيء ؟

- لا . أشعر بتعب ، وسأنام باكراً .

في صباح اليوم التالي ، استيقظت جاكولين على صوت الدجاج والبط .

بدا مأحولها غريباً للوهلة الأولى ، ولكن شعورها للفضيل بالألفة تجاه هذه الأصوات الغريبة ، جعلها تدرك انها ليست في عالم جديد . كما ان ضوء

النهار الومض في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح أبعثها . حركت

المروحة الهواء الداخلي للمزجج بالطريقة والحرارة لئلا أن تطفئ جو الثرفة

ما أمكن . تذكرت انها في غانا ، فاعتزتها موجة من الفرح والسرور .

جلست في الغرفة تنظر الى الستائر المتدايلة مع النسيم ، فسمعت صوت  
 إحدى النساء تتكلم لغة لم تفهمها ، فنهضت ونظرت من النافذة . وراى  
 فتاة صغيرة تقف دلوها من صنوبر أثناء قرب جناح الخدم . وفي ظل شجرة  
 المانغا جلست امرأة عارية الأكتاف ، مغطاة بقماش ملون من صدرها الى  
 اخصى ثدييها ، تحرك طعناً وضعت على موقد الفحم ، وإلى جانبها طفل  
 عار يزحف وسط الاقدار الحمراء ، ويلعب بشرة المانغا القاسية . هذه  
 عائلة كويشي على ما اظن . يكنى الطفل فتركت امه عملها ، ووضعت في  
 حضنها ، ثم أخرجت ثديها ، فجذبته الطفل بيديه الصغيرتين ، وبدأ يتبل  
 من ثديها .

رايت جاكولين هذا المشهد ليلة ، ثم ابتعدت عن النافذة والساحة  
 تقمرها لأنها عادت الى غانا ، كم كانت سعيدة وهي تستقبل هذا اليوم .  
 استحممت وارتدت قميصاً قطنياً وصندلاً من الجلد . رفعت شعرها الى  
 الأعلى ، ونظراً لشدة الحر ، فكرت في أن تجعله قصيراً قبل مجيئها ، ولكن  
 الشجاعة خلقتها إذ سيستغرق بعتلأ أعواماً ليعود طويلاً .  
 وجدت جاكولين كويشي في المطبخ يحضر طعام الافطار ، فحبته بحبة  
 الصباح وسأله :

هل الطفل الصغير والفتاة من عائلتك ؟

اجابها بتعثر واعتزاز :

نعم ، ولدي ولد آخر يعيش في القرية مع جدته لانه :

أين قريبك ؟

في مانكيسيم انها على الطريق الى ساحل الكيب :

مزدت جاكولين معه قليلاً ثم تركته ليجهز وجبة الافطار . خرجت الى  
 الشرفة التي أصبحت على الغرفة نوراً ، وتساءلت وهي تنظر الى الجدوع  
 الخضراء الضخمة ، إن كان هناك بيتان يعني بالحديقة أم لا . . . يجب  
 أن تشلب هذه الأشجار . وسرعان ما خطف بصرها حركة تمساحين  
 صغيرين يسابقان عبر الشرفة ، ويقفزان تحت الجدوع .

لماذا كالتأية ليس كذلك ؟ حسن ماتيو من خلقها . كان أيضاً مرتدياً  
 قميصاً أبيض ونظلاً فضفائفاً .

الى جدنا . لكنني احب النباتات الخضراء .  
 حسناً لن نقضدي هذا . فالبيتان هنا يعني بالحديقة مرة أو مرتين في  
 الأسبوع ، ولكنه غائب منذ شهر . كان عليه أن يعود لقرية لأن جده  
 مريض ، ولا أحد يعلم متى سيعود .  
 يوجد هنا الكثير من أشجار الموز .  
 نعم . . . ولكن احذري أن تأكلي من تلك الأشجار على الضفاف .  
 فذلك ليست بأشجار الموز .  
 كانت تلك الأشجار فعلاً شبيهة بالموز ، فإن لم تكن كذلك ، فلا بد أن  
 لها إسماً آخر .

أنا موز الجنة . قالت بلهجة إيجابية خالية من الاستفهام .

فألها ونظراته تقضض دهشة الكبيرة :

وكيف عرفت ذلك ؟

هزت كتفيها وقالت :

أعلم أشياء كثيرة أخرى .

نعم هذا صحيح !

الا يجب أن أعلم ؟ لقد فخرت لتوي من الكلية .

ثم دخلت لتساعد كويشي تاركة اياه وحيداً على الشرفة . كان ماتيو  
 بارداً ومهذباً أثناء تناول وجبة الافطار . وما أن انيا طعامها ، حتى غادرا

الغزل الى المكتبة في تمام الساعة السابعة .

من الأفضل أن تبدأ عملنا باكراً . قلدي الكثير ، وعلى أن احصد

أعمالك وأنظمتها .

لم تدرك في اليوم السابق أن مكتبه تفرغتها بالية ونافذة ، والعمال

مخرجون من مكتب الهواء الذي لا يعمل .

حدثنا ماتيو كاي رجل أعمال آخر ، أراها تقارير ولوائح وملفات ،

شراحاً الأعمال الداخلية للمكتب .

أنت مسؤولة يا جاكولين عن هيئة النسخ وسيعمل معك ييشس

وسامسون كما أخبرتك امس . ستهتم أيضاً بجمع الرواتب

والحسابات ، والتقارير المالية . فليكن أن تبقي خطة معينة لذلك .

- نعم أدرك هذا . اجابته وهي تنظر الى الأوراق المكدمة امامه .  
- ليس لدي وقت ، ولا أحب معاقبة احد . أما المصنفات فعليك  
الاهتمام بها أيضاً .

- اخبرني بشأن انما تهتم بالمصنفات لهذا سأطلب منها مساعدتي  
لأزاعم .

- نعم . انما تعلم موضع كل ورقة ، وتجددها أينما صفت ، ولا أحد  
غيرها يستطيع ذلك .

- وماذا عن السيارات ؟ اخبروني انما تحتاج بلهد كبير كي تصلح  
للاستعمال .

- انني مسرور ان اتي على عاتقك هذه المهمة أيضاً . فلدينا نقص في  
القطع ، كما ان القطع الموجودة ليست مثبنة بشكل جيد عما يجعل السيارة  
تعمل دوماً في أماكن غير مناسبة .

تداولوا في جميع الأحداث الخاصة بالعمل ، من الصناعة المصرفية  
والأعمال الزراعية الى تصليح السيارات . وما أن حان وقت الغداء ، حتى  
شعرت جاكولين بارهاق عام ، وأحسث بأنها لا تستطيع هضم المعلومات  
جميعها في لحظة واحدة . وفي البيت ، تناولوا طعام الغداء المعد من شطائر  
السمك وسلطة الفاكهة . شعرت جاكولين انها لا تقوى حتى على مضغ  
الطعام . كان الجو شديد الرطوبة أشبه بحمام يحار على الطراز التركي ،  
حتى انها شعرت بحرقتها يتصبب في ظهرها . . . اتصلت بعض خصومات  
شعرها الرطب ، فجعلتها تحلف أغنيها . نظر إليها عن كثب وقال :  
- سأكون مشغولاً هذا المساء ، فلدي موعد مع شركة التطوير الدولية .

فما رأيك أن تبقى في المنزل لئلا تقسطاً عن النوم ؟  
- يا لها من فكرة رائحة . . . سأفعل ذلك حتماً .

صباح الخميس سلمها ماتيو مجموعة وثائق . نظرت جاكولين الى  
الأوراق التي في يدها علماً انها وثائق شاحن معينة .

- ما هذا ؟  
- انها معدات من اجل مشروع الأرض . جاهزة في المطار وعليها أن  
تسلمها .

- حسناً سأجلبها .

- ليس الأمر بهذه السهولة . . . يجب أن تدعي فوراً ، وإلا لن نهي  
المسل قبل الغداء . إياك أن تدعي قرشاً ، فهذه البضاعة لا تخضع  
للضرائب . هل تعتقدين أنه بإمكانك القيام بهذا العمل ؟

أدركت جاكولين فوراً ما عناه . سهرأ بها رجال الجمارك ، وسيعاملونها  
كغنية شرفاء . انها القرصنة الأولى لها لآليات ذاتها . اجابته بيرود :

- لا ارى مانعاً في ذلك .

- شيء آخر أريد أن اضيفه ، ان المال في هذا البلد يصنع العجائب ،  
فإياك أن تدعي ولو مبلغاً ضئيلاً منها كانت الظروف ، حتى لو اضطرت  
للمشاخة معهم ، وانضمام النار على رؤوسهم . هل هذا واضح تماماً ؟

تسقطت منكبها وحدقت به . ألا يعلم انها لا تؤمن بالرشوة .  
- لا تخشى على قبضي الأخلاقية ، لقد تأكدوا منها في نيويورك .

- حسناً .

لم تكن المهمة سهلة ، فعلى المرء أن يكون صبوراً وبارداً كي يخلص  
البضاعة من مبي الشاحن . تنقلت جاكولين من مكتب لآخر ، وملاّت  
ووقعت خمس عشرة استمارة . انتظرت طويلاً وهي تتأمل الجدران  
القذرة ، والمصنفات المغيرة الموضوعة في الزوايا . كان أحد الموظفين نائماً  
فوق أخته الكاثبة . تمت جاكولين أن تحلو جذوة فالحرارة والحواء الراكدة  
استغدا كل طاقاتها . شعرت بالضجر من هذا الروتين لأنه مضية  
لوقت . لن تغير ماتيو بهذا ما دام الحل واحداً ولا بد أنه يتغيرها . مضى  
أكثر من ساعتين تمكنت جاكولين بعدها من الوصول الى مكتب الجمارك ،  
حيها الموظف ميتسبا . وساعدها في خلع علب الكرتون .

- اجهزة صناعية ؟  
- نعم .

- من اجل طاحونة الأرض . ختم الموظف الأوراق وسلمها العلب .  
عمرتها لغة الانتصار وهي في طريق عودتها الى المكتب متسائلة : ماذا

سيقول سيمونز ؟ قرعت باب مكتبه ودخلت وأسلمة العلب على المكتب .  
- ها هي البضاعة ، لم يعيها أي ضرر على ما اعتقد .

نظر ناتيو الى البضاعة ، ثم الى جاكولين ، ثم الى البضاعة ، وقال بنهشة :

- لذن استطعت غلبتها .

- طبعاً . اذا كان ناتيو يمتحنها ، فقد نجحت في ذلك وتستمر .

- ألم تواجهي بعض الصعوبات ؟

- دبرت اموري . لماذا ؟

- لانهم مشهورون بذلك . اجابها وهو يفتح العلب .

توقع ناتيو ان تعود جاكولين متفجرة وشاكية فغيرها من الموظفين ، شارحة له الامر بأكمله . لائن تعمل هذا ، ولن ترضي غروره . سأك :

- هل من شيء آخر ؟

- لا . . . . . حان وقت الغداء فهل أنت مستعدة ؟

ذهبت جاكولين بعد الغداء الى السوق ، تبحث عن أدوات للمكتب . لم تغير المدينة كثيراً لهذا استطاعت ان تجد طريقها بسهولة .

وفي غزون الكينكزوي التقت جاكولين بمصادقة وجهاً لوجه مع السيد والسيدة تورنر ومعها ابناهما ليزا وزوجة ابنتها . وبعد ثرحاب حار ذهب الجميع الى مقصف المحزن حيث تناولوا شرباً بارداً . كانت ليزا فتاة جميلة . شعرها أسود وقصير لامع ، وعيناهما يرافقان محاطتان بنظرات عريضة جداً .

قالت جاكولين بسرور عظيم دعوتهم الى العشاء يوم السبت المقبل . اذ كانت ترغب من اعماقها ان تعرف على ليزا . انه لن السهل ان يني الانسان علاقات ودية في بلد يعج بالأجانب . لقد انتقل معظم معارف جاكولين من جالية الكينكزويين الى أماكن أخرى ، ومن عاداتهم ألا يستقروا في مكان واحد اكثر من عدة اشهر . انتقلت جاكولين الى شقتها مساء يوم الجمعة ورائحة الدهان والشمع لم تزال عاتية . اخذ كويس على عاتقه اصلاح اشقة خلال يومين يتعاون مع رفاقه . كما وضع السجار اطارات جديدة للمنازل . دهشت جاكولين لسرعة انجاز العمل . لم يكن الظلام متقناً تماماً ، ولكن لا بأس به ما دام قد أضفى على الغرفة حلة بيضاء جميلة ، واعطى الأرض لمعاناً وريقاً . ذهبت صباح يوم السبت لشراء ما يلزمها من سوق الماكولا اكبر سوق في وسط المدينة . وكثيراً ما كانت تلمحي

فيه ساعات طويلة تبحث عن خرز أو أقمشة لحياطة قفطان لها . شعرت جاكولين بالمرق يتصبب من جسمها اذ كانت الشمس حارة ، والسوق عتيدة وعاتية بالحرارة . وجوع الناس تحاول أن تلمشي بين الأكشاك ، والنساء يحملن الخبزة على رؤوسهن يستعلن أكواعهن كمقود لمسح الطريق خلال الممرات الضيقة . سحرها المنظر فالتهمته بعينين فضوليتين . عرضت البضائع على الأرصفة كي يتم تفتيشها بما فيها من سلال ، وأدوات من الفخار ، وخرز وأدوية طيبة . كما رتبت الخضراوات بشكل أنيق من بندورة وفليفلة حرة ، وبامية . أما اللحم فلم يثر شهوة جاكولين على الرغم من أنواعه وأشكاله . تنقلت جاكولين بين الأكشاك لشعري فماشياً يصلح لصنع الستائر . كانت الأقمشة بألوانا الرائعة الطيبة على الطريقة الأفريقية مكتملة ، أو معلقة بشكل أنيق على حوامل للعرض .

أخيراً ، عثرت جاكولين على ما يناسبها من قماش الستائر . سارت خلفها حاشية من بنات صغيرات يحملن القماش الى أن استقرت في سيارة اجرة ألقنها الى منزلها . خرج كويس ليساعدها في حمل الاغراض ، بينما بقي ناتيو امام الباب ينظر اليها بعصية معلقاً :

- أجل ألا تكوني قد ارتكبت غلطة ما ؟

- غلطة 1 أية غلطة ؟

ويصبر نافذ أشار الى السلال والقماش والأواني :

- لو كنت مكانك لما انقذت أموالك هباء ، فقد لا تعوضينها . . . هل تعلمين هذا ؟

خفت قلب جاكولين لدى سماعها كلماته ، فغطت على شفتها غضباً . لماذا يعكر مزاجها كلها كانت تتمتع بروح معنوية عالية ؟ شعرت بانها متممة ، واضطرب ناز الغضب في يلمومها وقالت :

- لا بأس . اعتقد انك لم تلاحظ بانني مصرة على الاستقرار هنا ، والاستمرار بالعمل سواء راق لك هذا أم لا .

اجابها ببرود :

- لاحظت ذلك ، ولكنني أريد أن تدركي انني لم أقرر بعد منحك



العمل ، والأجدر بك أن تأخذني ذلك بعين الاعتبار ، وتوفري على نفسك  
صحة التجوال .

ثم انصرف متفكراً المتزل . كانت جاكلين مسرورة لأنها متفادى المتزل  
في الماء لتغير من طريقة معيشتها . دعاهما كوسي لتناول الغداء الذي لم  
تسمر أنها بحاجة إليه كيلا تجلس مع ماثيو ، وتعاذبه أطراف الحديث .  
- كوسي .

- نعم يا سيدتي .

- هل يضايك أن تنحصر لي طويلاً من منطقة الفواكه ، وكأس ماء الى  
هنا ؟

- أحاضر يا سيدتي . هل أنت بخير ؟

- انني متعبة يا كوسي هذا كل ما في الأمر .

استراحت جاكلين في غرفتها بعد أن استجمت ، وشعرت بالانتعاش  
الذي لن يدوم طويلاً ، إذ لن يلبث العرق أن ينصب منها خلال دقائق  
لأنها لا تملك مكيف هواء في غرفتها .

تناولت ما أحضره كوسي ، ثم استلقت على سريرها بصحبة أحد  
الكتب ، وما لبثت أن نامت طوال فترة بعد الظهر كالقنكيين . أتى ابن  
السيد تورنر في الساعة والنصف مساءً ، ليصطحب جاكلين لأنها لا تعرف  
العنوان . ارتدت ثوباً قطنياً طويلاً ، أزرق وأخضر ، ورفعت شعرها الى  
الأعلى ، لكنها لم تنجح في رفع عصلات شعرها التي ثقلت خلف أكتفها .  
وبينما كانت تستعمل حذاءها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب ، ودف به ماثيو  
مرتدياً بنطال جينز وقميصاً . قال بسخريّة رافعاً أحد حاجبيه :

- هناك شخص يدعى جون تورنر ينتظر في غرفة الجلوس . هل  
ترغبين أن أحضره الى هنا ؟

- لا اشكر . انني جامدة .

وبعد عاكمة عقلية ، قررت أن تطلب من زوارها القدوم الى مدخل  
البيت الأمامي الخاص بها . وضع ماثيو يديه في جيوبه ، اتكأ الى الباب ،  
وغمرها بنظرة ملؤها الإعجاب وقال :

- تبدين جيدة تماماً .

تخلعت تعليقاته ، وأخذت حقيّة يدعا .

- من فضلك ، أريد أن أخرج . أردت عندما لم يفسح لها المجال .  
أفسح لها الطريق قائلاً :

- ومع أنك لا زلت صغيرة ، لم غشجي وقتاً طويلاً للتراجع على حياك  
هواء .

أيقظت تلمحاته الغضب في أعماقها ، فاطبقت أسنانيا حانقة . لماذا لا  
يتروكها وشأنها . لحظة وهي تلمع في وجهه ثم قالت ببرود :

- هذه ميزة كونك شقراء غنية ، ليس لدي وقت للبلبل .

مائل برأسه الى الخلف ، وانفجر ضاحكاً .

كان جون تورنر أيقاً جداً كأولئك الرجال الذين يظهرون في الاعلانات  
لإعراس الأزياء الخاصة بالرجال . كانت أسنانه بيضاء ، وشعره مصففاً  
بشكل دقيق . فلا عجب أن يفكر ماثيو بأن جون صيد فاسخ . ولكن  
جاكلين ضحككت في سرها لأن جون ليس هو النوع المفضل لديها . اتجهوا  
الى السيارة ، وفتح جون الباب لجاكلين ، واتخذ كل منهما مكانه . قال  
عشياً :

- اخبرني والذي كل شيء عنك ، من الممتع أن يجد الانسان من يتكلم  
معه على متن الطائرة إذ أن الرحلة ممّية ! ليس كذلك ؟

- ليست ممّية .

- اننا نعيش في شمال لا يون هل نعرفها ؟

- اجل ! عشت مع والدي في كانثويتشتر عند طرف شمال لا يون .  
كان منزل عائلة تورنر واسعاً ، ومجيداً ، ومكيفاً كما سر جاكلين كثيراً .

والبرودة منعشة تتناق مع الحر الخارجي ، وتشجع على تناول وجبة لذيذة  
سحابة .

استقبل الجميع جاكلين بترحاب . وبدأ السيد والسيدة تورنر بقصص  
عليها ما جرى معها خلال الأيام العاشرة غير أبيين من سبدا قصته أولاً ومن  
سينابع . مما جعل المواضيع مبهجة . فانفجرت أيضاً ضاحكة ، وهز جون  
رأسه قائلاً :

- اعتقد انها استمتعا بوقتها حتى الآن ، فما اخبارك أنت يا جاكلين ؟

ثم ثلثاً تبعهما تلك معيلة ، وفاء مياذنه عائداً الى منزله .  
ما ان وصلت جاكلين الى المنزل ، حتى رأت بائعاً الأمامي الخاص  
مفتوحاً عن مصراعيه ، ولاح حيال ماتيو الطويل نتيجة الأضواء المنبعثة من  
غرفة جلوسها . سحقها غضب عنيف . ان هذا منزلاً فلماذا يقف ماتيو  
في غرفتها ؟

اجل ما اخبارها هي ؟ لم تسمع بشيء بعد ، وليست متحمسة بشيء  
بسبب رئيسها الجديد . طبعاً لا تستطيع اخبارهم بهذه التفاصيل ، قد  
ضحكت قائلة :

- اني مسرورة لانني عدت الى غانا ، ولكن حدث التباس عند  
وصولي ، وهذا الامر على ما يرام بعدئذ ، وسأكتب على صملي الجديد  
اجابها جون :

- لا تترقبني نفسك به خاصة في هذا الطقس السيء .  
نوجه الجميع بعدئذ الى غرفة الطعام عندما أعلنت المضيفة ان طعام  
العشاء جاهز .

- يا له من طعام لذيذ . لا شك انك ذهبت الى لوهه . تذكرت رحلات  
امها القصيرة عبر الحدود الى مدينة تونغو حيث كانت تجلب كل ما يتحدا  
المرء من أشياء مستوردة من فرنسا بما فيها مياه الشرب . ضحكت ليزا :  
- وكيف عرفت انني أذهب الى هناك ؟ هل تودين الذهاب معي في  
مرات مقبلة ؟

تقبلت جاكلين ما قد يقوله ماتيو فيما لو طلبت منه يوم اجازة لتذهب الى  
تونغو .

- ارجب في ذلك ، ولكنني لن أتمكن من الذهاب في هذه الفترة لانني  
بدأت العمل لثوي ، ولا أظن ان رئيسي سيوافق على منحي اجازة .  
- لقد نسيت انك فتاة عاملة . اخبريني ان كنت بحاجة لشيء ما ،  
وسأحضره لك بكل سرور .

امضت جاكلين امسية رائعة بينهم ، شعرت وكأن سحابة من الغم  
انقضت عنها ، فها هي تنفس بارتياح وسعادة . أعادها جون الى منزلها في  
مساء تلك الليلة ، فاستقبلها على الحارس وفتح لها البوابة .

- شكراً لك يا جون ، لقد امضيت امسية رائعة .  
- أهلاً وسهلاً ما قد عرفت العنوان ، تعالي متى شئت . تعالي أثناء  
التهاول لشاهدي ابنتنا الجميلة الصاعدة .

- يا غنا من طفلة مسكينة ، ضحكت جاكلين وهي تخرج من السيارة .  
عمرها ستة أشهر ، ولا شعر لها .

سمعت من خلال الباب المغلق صوت مذبذب رياضي، فنظرت اليه مرتبكة غلماً:

- ما هذا؟

- صوت المصباح ينقل أحداث مباراة الملاكمة.

- شاركت جاكليين الى الحمام.

- من هناك؟

- كويسي.

- ما رأيك ان تخبرني بما حدث.

- لم تعطني فرصة لذلك.

فتحت باب الحمام، فرأت الماء يتدفق في كل مكان، وقد وقف كويسي في المتوسط ينظاله المكثوف، يحاول ان يحفظ الماء بالمسحة والسطل. كان الرامبو الصغير موضوعاً على خزان الماء ينقل أخبار المباراة بخبرة. أنعمت جاكليين النظر للحظة، ثم أغلقت الباب، وعادت الى غرفة الجلوس حيث جلس ماتيو يراقبها بنظرات ساخرة وأرذف:

- بعد ان رأيت ما حدث، فهل تسامحتني لأنني عطفت أقدم المقدسات؟

هزت جاكليين رأسها وسألت عما حدث:

- لقد انصهر أحد الأديب. اكتشف على ذلك أثناء محاوله ان كانت نافذة الحمام مفتوحة، فسمع صوت الماء يتدفق. وبما انه يعلم انك لست موجودة، قصدني وأخبرني بالأمر، لعلك تفتنين ما جرى بعد ذلك.

- أعتقد انني لا أستطيع استعمال الحمام الآن.

- ان هذا يتوقف على سرعتك في اصلاحه. سأعطيك عنوان المصلح يوم الاثنين. أعتقد انك تستطيعين حل هذه الكارثة على أحسن وجه.

- أشكرك.

- انه جزء من عملك اللازم.

- انني أدرك ذلك تماماً.

- لم يعد لي حاجة لبقاء هنا.

غضب ومشى باتجاه الباب المشترك وأرذف:

### ٣- رقة غير مستظرة

لم يغضو ماتيو بكلمة عندما دخلت جاكليين الغرفة، وانتظر لبدا هي بالحديث.

حدثت به غاضبة وقالت:

- ماذا تفعل هنا في شغتي؟

- لا شيء، ألقى نظرة.

- تلقي نظرة، ومن سمح لك ان تتطفل على شغتي؟

- أتطفل. من قال هذا؟

- أنا.

خرجت جاكليين الى غرفة الجلوس بسرعة، فدخل وراها وأغلق الباب. ألقى صوت صائد من الحمام، فتجمعت في وسط الغرفة.

- على فكرة عندما تتصلين بالمصلح دعيه ياتي الى المكتب لاصلاح  
صنبور الماء اللعين. كما يمكنك ان تتابعي مهنتك وتعرفي ما حل بلتر  
الهاتف والمكيف معاً. سأعطيك التفاصيل يوم الاثنين.

وقبل ان تجد الجواب الملائم، أغلق الباب. رمت جاكلين هذا ما  
تتعب، وسرت بجسمها موجه وهن عارمة. لقد حدث لها أشياء كثيرة في  
الأيام الأخيرة. أخذت تجمع الحوادث مع بعضها بعضاً. . . قلبوها الى غانا  
ولا أحد في استقبالها. . . استقبال في المكتب بلا ترحاب. . . علاقتها مع  
ماتيو المؤدية الى كارثة. بدا لها ان كل أعمال المكتب لا فائدة مرجوة منها.  
كانت لبالها حارة وغير مريحة، ونومها سيء. وفي الصباح كانت تستيقظ  
والعرق يتصبب منها وتبقى متعبة.

دخل كورسي غرفة الجلوس ضاحكاً حاملاً المسحة والسطل والرايو  
الصغير، وميلاً وقال:

- انتهى الآن، كان هناك الكثير الكثير من الليلة.

- أشكرك كثيراً يا كورسي. أسفة لازعاجك في وقت راحتك.

- لا بأس أحضرت اللقياح مني لأستمع الى الملائكة وأنا أعمل.

- انني سعيدة لأنك استمعت بما انا من الفاترة؟

- بوفزون. انني الفطلة عن الآخرين.

- عظيم.

اقامه كورسي نحو الباب فالتك جاكلين:

- هل تعرف خيالة قريبة. لقد اشتريت بعض الاقمشة لأصنع ستائر،

وأنتى ممن يخطها لي.

ضحك بفخر وقال:

- ان زوجتي تخط الثياب والأشياء الأخرى، ولديها آلة خيالة تستطيع  
ان تخط لك الستائر سأعبرها بالأمر.

- رائع. سأكلها غداً هل ستكون في المنزل؟

- انها تذهب الى الكنيسة في الصباح، ثم تعود الى المنزل.

- إذن انتقنا. أشكرك.

- آه، صحيح، لقد قطع السيد سيمونز الماء عن الحمام. فالأفضل ان

تستعجلي الحمام الآخر.

- تصبح غل خير.

جلست جاكلين في سريرها حزينة وكثيرة. في صباح اليوم التالي،  
شمرت بتحسن، وأعدت نفسها قطعة من الحيز، وفنجاناً من الشاي،  
ونجرت الى الشرفة. كان الوقت باقراً حولى الساعة صباحاً، وكما  
تتعم يهدوئها، بها زاك الناس نائمون ان لم تسمع أي صوت من جيرانها.  
تجولت دجلة وفراخها في الحديقة تبتش الأرض هنا وهناك بحثاً عن  
الحمام. اتكا عصفور أسود كبير بقصدرة الأبيض على شريط الكهرباء في  
سكون محوري، رشفت جاكلين الشاي ببطء منتعجة بنحو الصباح الباتر.

ماذا تفعل في يوم الأحد هذا؟ هل تكتب رسائل. ام تقرأ كتاباً ما، أم  
تفصل الستائر؟ لو كان لديها مزهريه لتقطعت بعض اغصان البوغفيلية  
وزينت الغرفة. امتارخت في كرسيها. ما أجل ان تقضي يوماً هادئاً بعيداً  
عن ذلك المكتب غير النظام العشوائي، وبعداً عن ماتيو نفسه. ليثا  
تستطيع الابتعاد عنه في المنزل. كان من الصعب عليها ألا تفكر به حتى ولو  
لم يكن معها، ولا تستطيع تجاهله عندما يكون موجوداً. انه يقرض نفسه  
أينما وجد وكما يشع نوراً من كهرباء لا يمكن تجاهله. تهدت وأغمضت  
عينها. بدأ العالم يستيقظ رويداً رويداً. حلفت طائرة في السماء، فاصفرت  
جاكلين الى صوتها حتى اختفى. طفل يبكي، أصوات تأتي من جناح  
الخدم، وبعضهم يضحك، سمعت صوت ماء يتدفق، وأصوات الأباريق  
والقائي. لقد ابتدأ النهار.

استغرق تفصيل الستائر وقتاً أطول مما توقعت. ولم تنته الا بعد الظهر.  
مشت جاكلين باتجاه منزل كورسي المبني من الاسمنت، وقد حلت القمامي  
على ذراعها. كانت ليقلين زوجة كورسي جالسة على الشرفة، تدق بالهاون  
معض حبات البطاطا. والى جانباها حديدتها التي كانت تساعد بها بحركات  
سريعة تتم عن خبرة كبيرة. كانت السيدتان ترنديان قماشاً ملونا يتدلى من  
الصدر حتى الكاحل. وعندما شاهدتا جاكلين، توقفتا عن العمل ونظرتا  
اليها بخياء. قالت جاكلين:

- أعتقد انه لا يوجد لديك مانع من أن تخطي لي هذه الستائر، لقد



فصلتها.

هزت يقولون راحتها وقالت:

- أخبرني كويسي.. نعم أستطيع. أخذت إيفلين القماش من جاكولين، انه قماش جميل. هل وجدته في السوق؟
- نعم. لقد اشترته أمس. متى أحصل عليها؟
- غداً على ما أظن.
- كم سأدفع لك؟

اتفقتا على السعر ثم عدت جاكولين الى بيتها بينما انهمكت النساء بتحضير الطعام.

استلمت جاكولين المئاتر في المومند المحدد. وأضفت رونقاً وجمالاً على الشقة، وأعطتها طابعاً منزلياً ألحاً. حملت الأسابيع التالية معها تباشير جديدة. فقد استبدل أبواب الكهف، وأصلح الهاتف، وأعيد تركيب مكيف الهواء. كل ذلك خلال عشرة أيام. أدهش ذلك جاكولين لأنها لم تتأمل ان يتجز العمل بهذه المفاعلية. لقد حفظت بنفس مشقة وأصرار. اذ كانت تذهب كل يوم مرة او مرات لثرى العمال، تارة تفحصك معهم، وتارة تثقل عليهم بالكلمات، حتى اضطروا ان ينهوا عملها ليخلصوا منها. سألها ماتيوز وهو يتفحصها عن كتب:

- كيف أنجزت هذه الأعمال كلها وبهذه البرعة؟

- لا تفعل. لم أدفع قرشاً.

- ماذا فعلت إذن هل أغويتهم؟

إذا أراد ان يكون وقحاً، فستحلو حلوه، نظرت اليه ببراعة وعينين محذرتين وأجابت:

- وهل هناك طريقة أخرى؟

عملت جاكولين في الشهر التالي بنشاط لترتيب اعمالها، وتنظيم المستندات. ولا حظت وهي تعمل مع بيتس ان عليها الاخذ بزمام المبادرة والبدء بنويب المواد. لم تستمتع بهذا العمل الذي استغرق وقتاً كبيراً لتصنيف الأوراق المكدمسة في الخزائن يعلوها القبار، والتي حفظ معظمها كمراجع. تهدت جاكولين اخيراً وهي سعيدة، لأنها تعلمت بعض

الاشياء، كتخزين اللوحة، وإطعام الدجاج، وزراعة القبول السوداني. في احسن الليالي قاربت جاكولين على انهاء العمل، بعد ان عملت بجهد الى ساعة متأخرة من الليل بدون ان تشعر بمرور الوقت. كانت أشبه بآلة اوتوماتيكية تعمل بلذة وروتيبة اذ كانت هذه هي الطريقة المثل التي تمكنتها من انجاز العمل. وفجأة قطع صمت المكيب الهادئ صوت الباب الامامي يفتح بمنفذ، ويظهر ماتيوز بقامته الطويلة واقفاً على العتبة، نظيفاً ورائحاً وما زال شعره تدباً، مما يدل على انه قد اخذ دوشاً لترو.

أدركت جاكولين فوراً انها تغسل وسط الأوراق المتراكمة التي تعلوها القبار، والأوساخ والرطوبة الشديدة، وقد جفت حفظها وأنها من رائحة القبار المنائر أثناء تيوب الصفحات وترتيبها. حلق في وجهها بدهشة قائلا:

- تساءلت أين ذهبت. ألا تظنين انك تعملين كثيراً، فالساعة قد تجاوزت الساعة مساء.

سمرت جاكولين بالمقاومة ثقلي في عروقها فأجابت ببرود:

- لا تفعل. لن أطلبك بأي اجر اضافي.
- حسناً لماذا لا تتركين العمل للغد، وتعودين للمنزل لتأكل شيئاً؟
- كنت جائعة الآن. بإمكانك ان تجبر كويسي بذلك. ساعد شيئاً لنفسك عندما أعود.

- ان كويسي في إجازة اليوم.

- أجل نسيت ذلك.

- لا تعلمي بهذه الطريقة، انضبر صوته بشويه القلق المماجي، يجب ان نتالي فسطاً من الراحة، فأذا استمرت بالعمل على هذه الطريقة في هذا الطقس الحس، فأتك لن تصيدي كثيراً.

شدت على قبضة يديها، لماذا لا يدعها وشأنها. انها تستطيع الاهتمام بنفسها. ليست بحاجة الى تدخله الدائم.

- سأعطي بشوي أشكرك!

زادت ملامحه قسوة ويومض بريق في عييه وقال:

- اذا كنت تعطينين انك تعملين بهذه الطريقة للتأثير في، فانك تخطئة

غداً، ليست هذه طريقة ناجحة.

- دعني وشأني، سأقوم بعمل على النحو الذي أحب.

سأدبنيها صمت منحوت بالكهرباء. لم تحفظ بصرها عنه. كان فيه قاسياً ومعتداً.

- حسناً، (قال ببطء)، افعل ما يحلو لك. ثم خرج من المكتب صافياً الباب وراءه. لقد وُجِّل. ها هي مياوته. قد انطلقت.

عرفت جاكولين ما كان يدور في ذهنه... ماذا اعتم بها. كلما انهارت بسرعة، كلما تخلص منها بوقت أسرع. عاد كل شيء من حولها الى هدوئه.

تأملت الأوراق اعنيها. كانت عينها غرقاء، كما شعرت بجوع وعطش شديدين. ترى هل ظن ماتيو انها ستأتي المنزل لتحضر طعاماً أثناء غياب كويسمي؟ يا خطك السيء يا اخي... حضر طعامك بنفسك. قطع عجي.

ماتيو الى المكتب تسلسل عمل جاكولين. حاولت بعدها العودة الى العمل فلم تفلح، تركت الأوراق جانباً، وغابت المكتب متجهة الى المنزل بعد ان أحست بالحر والاشباح. نظرت الى نفسها في مرآة الحمام، وبدا وجهها رمادياً بتأثير الغبار. أخذت دوشاً، وارتدت ملابس نظيفة، ثم انجبت نحو المطبخ لتأكل. كانت غرفة الحلوى خالية، ولم تتوقع ان تجد

السلالة مثلية بأنواع كثيرة من الطعام (بيض منلي باليصل والبندورية وشريحة من الأفوكادو، وسلطة الفاكهة).

توقفت الآن ان ماتيو حضر الطعام على أمل ان تشاركه. ولما لم تحضر ذهب ليتفقدتها، دأبها شعور بالدنب. جلست الى المائدة تأكل نصيبها من الطعام. اجتمع سرب من النمل على فتات الطعام الذي تركه ماتيو، وأخذ

يقتحم ما حوله بنشاط مذهل. نظرت جاكولين في أرجاء الغرفة الخالية، وشعرت بوحدة فائقة... الى متى سيستمر ازعاج كل منها للأخر. في صباح اليوم التالي، قدم كويسمي طعام الافطار، ووجهه يتم عن كآبة كأنها

اعتزته مصيبة. نظر ماتيو اليها متسائلاً ترى ماذا أصابه؟ فهزت جاكولين كتفها مشيرة ان لا فكرة لديها عما اعتراه.

- من فضلك، لم يعد لدي صابون لغسل الأطباق. قال كويسمي وهو يرفع الأطباق عن المائدة:

لقد فشت جميع الأسواق بما فيها سوق ماكولا ولكن عبثاً. وجرت مسجوق النسيج لكنه ليس جيداً للأطباق. وأريد ان أحفظ بما تبقى منه لغسل الثياب.

وشف ماتيو ما تبقي من قهوته ونظر الى جاكولين قائلاً:

- ان هذا من اختصاصك.

- لم يدرج هذا في جدول أعمالي.

- أعظم انه لا علاقة لعملك بهذا. ولكن الأمر يتعلق بالتحدي اليومي للحياة في جنة النخيل. كما لاحظت ان هذه المشكلة ذات حجم عظيم، ولكن خريجة جديدة مثلك قادرة على معالجتها.

لماذا يعاملها بهذه الطريقة طوال الوقت؟ بإمكانها وبكل سرور ان تحنقه لقروره وتصرفاته الوحشية.

ضحك وهو يمسك بحقيبته:

- سأراك في المكتب.

بحث جاكولين مع كويسمي بنظر اليها، متوقفاً منها ان تصبح المعجائب بلا شك. ثم تكلمت المشكلة جديدة، حاولت ان تذكر ماذا يفعل الآخرون في مثل هذه الحالة. استعرضت شريط ذاكرتها حتى وجدت الحل:

- هل عندنا أي نوع من الصابون يا كويسمي؟

أوما برأسه ذهب الى غرفة الموزونة، وعاد يحمل برميلاً من مائة صغراء أمليل للون البني. كان نوعاً من الصابون المصنوع محلياً المستعمل لجميع الأغراض.

- يحتاج الى نصف هذه الكمية المشورة، وستضيف اليها بعض الليمون، لتحصل على مائل مدعش من الدرجة الأولى.

أعطته بعض التعليمات، نظرت الى وجهه الطعم بالشك وذهبت الى المكتب. عادت جاكولين من عملها. فوجدت البخار يتصاعد من السطل الذي أعده كويسمي. وضعت الصابون المشور مع قطع الليمون وعصيره، وبدأت بتحريكه وهي تضحك:

- ستحصل على هذا السائل المدعش.

كان كويسمي ينظر اليها بعينين ملزهما الحيرة. دخل ماتيو المطبخ ونظر

يدهشة الى جاكولين، ثم الى كورسي، ثم الى اليانز الكصاعد وقال:  
 - هل لي ان اعرف ماذا تصنعان؟  
 نظرت جاكولين اليه باستملاء واجابت:  
 - تصنع سائلا لتنظيف الاطباق.  
 - حسناً، امرأة ذات مواهب مختلفة.  
 - بالتأكيد.  
 نظر ماتيو الى السطل الذي يغلي وسأله مكثراً:  
 - هل هذا ما تسببت بهائل الجلي؟  
 سر كورسي لأن ماتيو شاركه في عدم الثقة والحماس لما تصنعه جاكولين.  
 - من أين حصلت على هذه الرصعة؟ شعرت جاكولين من صوت ماتيو  
 انه لا يخفي منها هذه المرة فاجلته الانسامة.  
 - وجدته في كتاب السحرة الخاص بذلك.  
 - هذا ما كنت اخشاه.  
 تابعت جاكولين مبتسمة تحريك المربع قبل ان تتركه ليهرب، وهي تفكر ان  
 الانسامة في عيني ماتيو أضفت عليه جمالا. تعجبت من المارك المحتمة  
 بينها. انه ما لبث الرقة التي ترغف عليها ليرجع ان تغلب الى عداء  
 عظيم. لم يكن حق جاكولين ان تدبر أمر الصايون فحسب، بل عندها تدبير  
 أمور أخرى. فما زالت إحدى السيارات معطلة منذ أسبوعين لخص في احد  
 اجزائها غير المتوفرة، ونتيجة لذلك فقد تعطلت أمور المكتب، مما أدى الى  
 تقاع صير ماتيو وزاد من عصبته. رأت جاكولين ان تذهب الى ترغف لتحضر  
 قطع السيارة من لومه. وعندما تأقبت الأمر مع ماتيو، قطب جبينه عما  
 أوحى لها انه يرفض اقتراحها.  
 - يجب ان اذهب بنفسى. ان المشاحنة عميقة، ولا يستطيع ان أبدا  
 بالشرح.  
 - اذن لا تفعل. نتأكد ذلك بنفسى. هذا هو عملي وسأقوم به.  
 - هل انت متأكدة انك تريدان المحاولة.  
 - بالتأكيد.  
 - حسناً، كيف لفك الفرنسية؟

- لا بأس بهاء ليست كلها جيدة.  
 - تحتاجين الى تأشيرة دخول الى تونس لأن لومه على الحدود تماماً، كما انك  
 بحاجة الى تصريح للعودة الى غانا، وشهادة قيادة دولية.  
 استغرق الحديث أكثر من نصف ساعة لتأقبة بقية التفاصيل، ثم رسم  
 ماتيو خريطة لومه عاصمة تونس المؤلفة من عدة شوارع رئيسية. أما البنك  
 وركلاء السيارة فقد اشتركوا في بناء واحد.  
 تأكدت جاكولين انه أصبح يتق قليلا ولمكاناتها، ولذلك عهد لها بهله  
 المهمة. ربما كانت لديها خبرة ما... لا كما حكم عليها مسبقاً، ترى ألم  
 يخطر بباله ذلك؟  
 عايرت جاكولين ليزا فور وجوبها الى مكتبها قائلة:  
 - سأذهب الى لومه من أجل العمل. هل تريدان ان نأتي معي لشراء  
 بعض للأكلات؟  
 - طبعاً سآتي. وسأترك طففتي عند غلاديس. هل ستعودين في اليوم  
 نفسه؟  
 - نعم سأشتري قطع غيار لاجدي سيارتنا، وبعض الأغراض الخاصة  
 بها. أتي أتي شوقاً لقطعة من الجبن.  
 - وتضاع.  
 - ونظر.  
 - اعرف مطعماً فرنسياً يقدم حساء البصل سذهب اليه. أه كم أنا  
 جائعة.  
 - اذن ستكونين الغالة لأنني لا أتذكر الطريق كثيراً، فقد كنت أذهب مع  
 والدتي.  
 أعطت جاكولين اسبوعاً تزم من الأوراق اللازمة. ذهبت كالسامعي من  
 البنك الى شركة التأمين، ثم الى مكتب الشهادات ثم الى سفارة تونس،  
 ووزارة الداخلية. انتظرت كثيراً هناك ثم أخبرت بأن تعود خلال يومين،  
 أخيراً تم كل شيء، وأصبحت جاكولين جاهزة للسفر. بدأ الليل ينجلي،  
 وغادرت جاكولين المنزل صابحة في الساعة الخامسة والنصف. كان الفجر  
 الرمادي يبعث بدهود على الأشجار والأبنية، وما لبثت الشمس ان اشرفت

ماثير يشعر بالمرارة لأن دايانا وقضت اليقظة معه . وهو يتنعم منك لأنك امرأة . ولكن ما علاقتك انت اذا لم تستطع دايانا التكيف مع الضغوط ؟ شيء من هذا القبيل .

انه لمن السخف ان يظن انك لا تستطيعين القيام بالعمل . ان هذا البلد ينجح بالنساء العاملات الناجحات في السفارات وهيئة الأمم وحيناً مستجيبين أنت أيضاً .

أعلم هذا ولكن ماثير لا يفتح بذلك . وكأني عثره في طريقه . انه يغدقني معظم الوقت محاولاً ان يلدني ويخيفني . فكيف يمكنني العمل مع هذا الشخص ؟ أسفه يا ليزا كان عليّ ألا أقول شيئاً . ويجب ألا أتحدث من رئيسي . انسي ما قلت .

بالتأكيد . انك بحاجة ان تفصحي عما في نفسك . كنا بحاجة الى ذلك أحياناً لا تقلقي لمن يقول بكلمة فلان كالثير الصبي .

كنت بعض حديثات السفارات بين القرى . بينما كانت النباتات الأخرى قليلة وبسطة لذا كان الشجر عالياً وفارغاً . وكلما اقتربنا من الحدود كلما زادت الأخضر ارحيت ظهرت اشجار جوز الهند . كما لاحظت مياه المحيط المتلألئة من بعيد . وصلت جاكليين وليزا الى الفايو بعد الساعة صباحاً . كانت مدينة الحدود مفعمة بالنشاط والحياة كأنها أحد الأسواق التجارية . وصلت الأكشاك بالبضائع التي يندر وجودها في باقي المدينة .

وصلنا بناء الجمارك الواقع على الطرف الأيمن من الشاطئ . فزارت ليزا من أجل الجوازات والتصاريح وأوراق أخرى . بينما مكثت جاكليين في السيارة تستمع بمنظر مياه المحيط الأطلنطي التي تتلألأ تحت أشعة الشمس . والتي تضادفها الأمواج فوق الشاطئ الرمل . وتستشقي رائحة الماء المالح المزوجة برائحة السمك .

كنت جاكليين ان تمود ليزا بسرعة . فقد غدت السيارة عابئة ، ودخل الذباب اليها بشكل لا يحتمل . ولا تلك شيئاً لنقضي عليه . عرضت عليها فتاتان صغيرتان ان تشتري من سلاسل المصنوعة بالخمر والمز والأمانس . لا انها تريد فقط شراء أداة لقتل الذباب . وعادت ليزا أنجراً . واجتازت السيارة الحدود . فتوقفتا عند بناء جمارك . ذهبتا بعددتي الى البنك لاختصار

في الساعة السادسة . ويزع نهار جديد . لم تكن وحيدة على الطريق فهذه الكثير من المارة السريعين . كان حراس الليل يمشون بشياهم الزرقاء البيضاء الطويلة . يحدون الى منازلهم او يروحون الى أعمالهم . كانت لم تنظرها وممران ما خرجتا من المدينة باتجاه الشرق . لم تكن الطريق مزدحمة فتمتعا بمنظر «الريف القادى» . والعديد اللون نظراً لاختفاء بريق الشمس . حضرت ليزا معها ترموس قهوة حارة ومكثفة . ويعبر الكيكوت المندى اللذيذ . مرت بالقرب منها شاحنة ما لبثت ان تجاوزت وهي تتر وتترخف . كانت عملة بالساقين الذين تمسكوا بحوصي بالثقافة الخشنة الموجودة في مؤخرتها .

انه لمن الجنون المطلق ان يقطع المرء هذه المسافة للذهاب الى المجيم الاستهلاكي . الا ان كثيراً من المتبرين كانوا يتوقون الى شراء ما اعتادوا عليه في ديارهم . ان كان التكيف مع ظروف معيشية أخرى أمراً صعباً بل مستحيلاً . تذكرت ما قاله ماثير عن دايانا . عادت الى الوطن اذ لم تستطع تحمل الحرارة والمساكنات .

فهل يسم المرأة اذ أحببت رجلاً توفر الأشياء الكمالية التي اعتادت عليها في وطنها ؟ فالحب . والصداقة . والاهتمام الحقيقي تعويض لكل ما ينقص المرء . ولكن ما مدى العلاقة بين دايانا وماثير ؟ قطعت ليزا أفكار جاكليين مسألة :

« تبدين جدية للغاية . ما الأمر ؟ »

« لا أبداً كنت أفكر . . . أخبريني يا ليزا هل تعرفين خطيبة ماثير ؟ »  
« نقصدين دايانا . . . نعم كنت أعرفها . كانت غارضة أزياء طويلة جداً شطام . . . او بالأحرى كتلة من شعر أحمر . مشيرة . . . عادت الى الوطن منذ أمد قصير . اليس كذلك ؟ »

« نعم لم تستطع العيش هنا . ولهذا يعتقد ماثير ان هذا البلد لا يناسب المرأة . فهو يقاومني ويريد رجلاً مكانه لهذا العمل . »  
« أفهم ما تقصدينه . »

أرادت جاكليين ان تتك بأي شخص . وان يكون لها صديقة . وهي تحب ليزا . ثم أردفت ليزا :



الفرنككات، وتركزت جاكولين لأتاحة القطع مع التاجر لتأخذها منه فيها بعد.  
أرغها ليزا المجمع الاستهلاكي الجديد ذا الموقف الضخم الخاص  
بالبلاستيك. نظرت جاكولين إليه بدهشة:

« لا أصلق عيني، هل أنا في اميركا؟ »

كان المخزن مكيفاً من الداخل بشكل مذهش. كم شعرتا بلفة كبيرة،  
وهما تمشيان بين الأجنحة التي امتلأت رفقها بالبضائع المستوردة من  
فرنسا وغيرها. قالت ليزا:

« لا أحب عادة التحول في الأسواق. ولكنني كلما أتيت إلى هنا أشعر  
وكأنني في فترة عيد الميلاد. »

وما إن حان وقت الغذاء، حتى كانت السيارة محملة قدر طاقتها بالخبز  
والفطير وزيت الفتي، وحليب البودرة، والدجاج المشوي، والصابون،  
ومئات من لفافات ورق المحارم. كانت الحرارة لا تطاق في السوق  
المغطى... واحتشد الناس يتنافسون حول الأكشاك. جلست النساء  
خلف أكوام البصل، والبندورة، بثرثرون ويضحكن. نظرت جاكولين إلى  
مشترياتنا، وعرفت ما يتعلل به الأفريقيون من خيال وإبداع. غادروا  
السوق بعد الساعة الواحدة ظهراً يتبعها طفل يحمل الثلج، وطفلة تحمل  
عل وأنها سلة مليئة بالخضار. كانت السيارة كالكفون، فوضعوا بسرعة  
المشتريات في السيارة ثم الثلج في البراد المخصص لحماية الأشياء. تناولنا  
طعام الغذاء المكون من قطعة لحم مشوية وحساء البصل في مطعم صغير.  
لقد غلبت الحرارة عند خروجها كعطلة صوفي ندي. كانت المقاعد ساخنة  
جداً. فاضطرتنا أن نغطيها بقماد قبل الجلوس فوقها. وخلال دقائق بقلنا  
عرقاً. انظرنا عشرين دقيقة عند وكيل السيارة حتى أنهى القاتورة.  
وصلنا أخيراً الحدود، بعد أن تجاوزت الساعة الثالثة عصراً. نظرت  
جاكولين إلى الحليب والأكياس وقالت بفرح:

« آمل أن يسمحوا لنا بالمرور عبر الحدود ومعنا هذه المشتريات. »

« كوني هادئة واتخبريهم أن لديك الكثير من الأطفال. وإذا أطلوا  
المشاحة الفجوي ياكبة، فهذه طريقة ناجحة. إليك أن تكوني وقعة.  
كان يوماً سعيداً فقد اجازتنا الحدود بلا مناهب، حتى أن حرس الحدود

عند نقاط التفتيش عبر الطريق العائد إلى أترا رجياً بها، وأفسحوا لها  
الطريق دون تفكير.

كان الفلام قد أرغى مبدوله عندما دخلت جاكولين المنزل، بعد أن  
قامت ليزا إلى منزلها. فتح قاتورها الباب جاك وصوتها وأردف:

« انني مسرور أنك عدت فأنظرفات عطرة إذا حل الفلام. هل واجهت  
أية معاب؟ »

« لا كل شيء على ما يرام. هل كويسي هنا؟ لذي بعض الأغراض في  
السيارة. »

علت وجهه مسحة من الدهشة وعدم التصديق. وسرعة خل أول  
مصدق لينقله إلى الداخل، ثم قال:

« ان كويسي ليس على ما يرام. لديه صداع شديد لهذا طلبت منه أن  
يقيم في منزله. »

جلست صندوقاً آخر وتبعته إلى المطبخ.

« يبدو أنك اشتريت ما يحلو لك. »

« ليست لومدة عاصمة، ولكن غارنيا مليئة بأشياء جديدة. »

« نعم، (قطب جبينه)، أعلم هذا لكنني أرسلتك لشراء قطع التبدل،  
وأمل أن تكوني قد أحضرتها، فورق المحارم والنظر ليست هي الهدف. »

شعرت بخيبة أملها تزحف بداخلها وقالت:

« قطع التبدل في السيارة. »

ثم ذهبت لأحضارها، وسلمته القاتورة واللائحة والوصل. فقال:

« مستحق منها الآن كيلا نفلت عليها. »

حاولت أن تبدو هادئة، ولكنها أدارت ظهرها وغضبت شفتها. ساد  
صمت مطبق. وعندما نظرت إليه، رآته يتأملها بعينين سوداوين ونظرات  
مبهمة.

« أسف مشترك الأمر للغد فانت مرفقة. سأعقد لك طعناً، اجلسي  
ومأخضري بقية الأغراض من السيارة. »

« سأعقد دوناً لأنني لا أقصّل نفسي هكذا. »

وعندما عدت إلى المطبخ. كان ماتيو يحضر البيض وقال:

- ما هذه المأكولات يجب أن تخفيها كيلا أشاؤك إياها.

- ولكن الأغراض لكلياً. ألسنا نعمل مطبخاً واحداً؟

- أجل. كم سادف لك؟

أعد لها عشاء فاخراً من البيض والجن. وهذا لها شيئاً مثلياً. كانت شديدة التعب، فبعض ماتيو وأمسك يديها ليقودها لغرفتها. . . رأت ضحكة في عينيه. ولم تستطع مقاومتها.

- إنها نقطة ضعفي الوحيدة.

ضحك عالياً، وهو يمسك يديها، ومسحها إليه ناظراً في عينها:

- انه لمن الأجبر أن نتناول دائماً عشاء فاخراً معاً بدل من أن نشاير.

وتابع بصوت متخففي:

- اتك ليلية جداً هذه الأمسية.

أصبح وجهه قريباً منها، والفت عينه بعينها، لم تتحرك، لم تستطع أن تتحرك. ويطء انحنى عليها وعانقها بدفه. وقفت بين ذراعيه بدون حركة، وسري فيها دقه لم تألفه. ثم التصقت به أكثر وطوقت عنقه بقراعيها. وبدأ الانسجام وأضحاً بينها.

كان رأسها يدور. داعمها شعور وتسللات. . . ان هذا جنون. ماذا حدث لي. . . لماذا يفعل هذا؟ لم ألتجيب لأحد من قبل هكذا، ويجب ألا تستجيب له أيضاً. حركت رأسها ودفته في صدره. . . غلبتها مشاعرها، وأحست بضعفها، وفقاً هكذا ساكنين لمدة وبدأ بدورها بقوة إليه. ثم أخل سبلها وغوي بينهم. لم تنظر إليه خوفاً من أن يدرك اضطرابها، ولكنه أجبرها أن تنظر في عينيه:

- يجب أن نهي خصامنا على هذا البعور أليس كذلك؟

حككت به وكان الكلمات غلظتها. . .

ضحكت وهي تحاول أن تجميع حواسها. تنظر في عينها، وتعني لها ليلة سعيدة. وعندما دخلت غرفتها أخذت تساهل هل كان ماتيو يعانقها فعلاً؟ ماتيو الرجل الذي ينمحر غاضباً في وجهها ويحقرها، الرجل الذي يثير غيظها على الدوام. لقد عانقها فقط. فكرت في ذلك مضطربة. لكنها لم تكن طبيعية. لا تعلم السبب ولا تستطيع أن تشرح ما حدث.

فاحساسها أمل عليها ذلك. . . لا تزال تشعر بذلك الدفء الغريب يسري في أعماقها. كذلك إحلاماً. . . أذهبي إلى السرير ليصحو رأسك. انه مسرور الليلة فتعي بذلك قيل فوات الأوان. لم يدم ذلك طويلاً. فقد أن ماتيو آل مكتبها صباح اليوم التالي يرتجف غضباً. ورسم على مكتبها أوراقاً، وحذق بها ونظرات الشرر تظلم من عينيه:

- انظري لعمل هذا بفكر بعض الأشياء.

- لأنك لم تنح لي يوماً للكلام . كما قد تذكر كنت الذي يتكلم يوماً .  
- كان علي أن أحن ذلك . لكنني لم أفعل . كنت مغفلاً . اعتقد أنك  
مروءة هذا الانتصار .

ثم خرج من الغرفة صاعقاً الباب وراءه . لم تشعر جاكولين بألفة  
انتصارها . فقد كانت متكئة على نفسها . لأن الصدام بينها يسيطر  
عليها . أنها تستطيع القيام بعملها . ولكنها هل تستطيع الاستمرار في هذا  
الجو المشحون يومياً بالاضطراب والتوتر الدائم بينها وبين ماتيو ؟  
عملت جاكولين بجهد كبير طوال اليوم كيلا يسرح خيالها . كان عليها  
أن توقع وترسل أكوام التقارير المكثفة على مكتبها . أصبحت على علم  
بمختلف المشاريع . من التقارير التي قرأتها . والأحداث التي دارت بينها  
وبين ماتيو . وزياراتها للمشاريع معه .  
من المتبع حقاً أن تعلم الحقائق المخفية خلف الأرقام . والأوراق التي  
تدونها يومياً .

عاد ماتيو إلى مكتبها ظهراً بصرف بائزاً رجلاً الأعمال وقال :  
- نيت أن أخبرك : لدينا خيب شاب على الغذاء من شركة التطوير  
الدولية . قدم لنا عدة خبشات . هل ستكون جاهزة خلال عشر  
دقائق ؟

- أجل . قاربته على الانتهاء .  
- حسناً أخبرني متى انتهيت .  
وصلاً المنزل ، خرجدا الضيف في انتظارها .  
- جاكولين هذا هو ديفيد غوردون وهذه جاكولين دونلي مساعدتي  
الآرامية .

لم تصدق جاكولين عينها . هل هذا الرجل الأشقر الطويل هو ديفيد ،  
المتطوع في رابطة السلام ، النحيل الخائض الذي اعتاد أن يلتهم طعام  
والدنيا كلها عاد من قريته ماراً بأكرا . لقد كبر وغدا رجلاً . ما زالت عيناه  
الزرقاوان تنظران إليها بلهفة وسرور واضحين .

- جاكي . شديداً إليه معافاً بطريقة ودية . ماذا تفعلين هنا ؟  
- أعمل مع ماتيو . . . كم سررت برؤيائك .

## ٤ - اتركني الأمر للأقدار

ألقت جاكولين نظرة على الأوراق . فوجدت أنها ملخص لمبوبة  
أعمالها . وأوراق المقابلة التي جرت بينها ، وبين السيد كريستوفر في  
نيويورك . استغرق وصول الأوراق إلى أكرا أكثر من شهرين . نظرت  
جاكولين إلى صفي ماتيو المحفوظين فيها وسألت :  
- ماذا يوضح هذا ؟

- هذا يفسر ثلاث سنوات في غانا . وثلاثين في تركيا . والثلاث في  
الفضائية . ثلاث سنوات في غانا . وستان في تركيا . والثلاث في  
موسيرا . أفلي أن ننتقل الفرنسية جيدة .

- على الأقل لست غداً شقراء ماذجة .

- لماذا لم تخبريني بذلك ؟ لماذا ؟

سألتها وما زالت بدأت على كتابتها :

- أين والديك ؟ هنا ؟

- لا ، في الولايات المتحدة . . . أتيت إلى هنا وحدي . لقد أصبح

كبيرة كما ترى .

كشرفه ضاحكاً وقال :

- نعم هذا ما أتيت .

لمست جاكلين نظرات ضاحكة في عيني ماثيو وهو يراقبها ، فأخبر

عجلاً ، هل يسخر منها ؟

قال ديفيد محاولاً أن يشرك ماثيو في محادثتها :

- كنت اضفي معظم وقتي مع عائلة جاكلين عندما كنت متطوعاً

انقذني والدتها من الموت جوعاً . كنت أعمل في منطقة الغولنا ، وقد

منحتني الفرصة أتيت إلى الحرا الدعم معنوياتي ، وللتحصين الطعامي .

أجاب ماثيو :

- اظن أنك كنت بحاجة إلى ذلك .

أحضر كرسي الطعام ، وجلسوا إلى المائدة . كانت جاكلين فرحة لأنها

لم تناول الغذاء وحدها معه بعد وصول الأوراق ، لم تتكلم كثيراً متبعة

الفرصة للتحدث عن العمل .

كانت فرحتها بوصول ديفيد مضحكة للغاية ، لأنها اعتادت زيارته قم

وهي في السابعة عشر من عمرها . كانوا يقومان معاً بزيارات في معظم

الألعاب . كم أنصت له وهو يتحدث مع والدتها عن إنتاج الذرة ،

والصيد ، والوضع السياسي . كانت معجبة بقوة لمحطة الصعالي

كمنطوق . وكذا حديثها عن الناس الذين يعيشون في القرية الفقيرة

الغذوة ، كلها من شغاف قلبها . اصطفتها عدة مرات إلى أماكن ليلية

راقية لسامع فرقة موسيقية شهيرة ، تحت قبة الأسيا ، وخلال أشجار جوز

الهند . لم يستغل أبداً مشاعرها نحوه ، وكتم تسامكت إن كان يشعر أنها

بدأت تخب . لم تكن عاطفتها لجأه صادقة ، وما إن عادته إلى الولايات

المتحدة ، وانفصرت في حياتها الجامعية ، حتى نسبته قاماً وبسرعة . دارت

عجلة الزمن ، ست سنوات مضت ، وما هو ديفيد يعود الآن أكثر جاذبية

متخلياً عن نظرات الجالعين . لكن قسوته الطبع على الطريقة الأفريقية ،

أكد لها أن فوقه لم يتغير . من المؤكد أنه لا يرتدي هذه الثياب للعمل ،

لكنه قد يعمل نظيفاً لبدته : الخروج من المألوف أحسن شيء في هذه

الحياة .

قرب ماثيو صحن الطعام إلى جاكلين ، فطلعت نظراتها عبر المائدة

وقال :

- إنسان قيم نحلمون ؟

أحست جاكلين بتوهج وجهها ، وبدأ ارتباكها واضحاً إذ حلق ماثيو في

وجهها بعينه . ثم دفع كرسيه إلى الخلف ، ونهض ليبتل أمر القهوة . ولما

توارى عن الأنظار قال ديفيد :

- أشعر بوجود نورسي - بينكما . أنا لا أتفضل يا جاكلين ولكنني أريد أن

أعرف .

- إذن سألتني .

- هل أنت مرتبطة أم حرة . . . هل ترغبين بالخروج معي مساء غد ؟

ذهبا صم إلى مطعم بالم كورت . مطعم صيني جديد ، وجعل يقع على

الشاطئ . لم تذوق طعاماً أشبه من . ولبن المدعش حقاً أن تكون في

قلب أفريقيا ، وتجلس في مكان على الطراز الصيني . وتأكل طعاماً شرقياً

شهيماً . . .

تألق ديفيد لهذه الأهمية ، فارتدى سترة بيضاء ، وقمصاناً مفتوح القبة

كالكسرة ، وكما يلبس ماثيو عادة . ضحكت جاكلين في وجه ديفيد معربة

عن سرورها واستانها ، بينما حلق فيها بعينين ضاحكتين وقال :

- لا زالت كما عهدتك .

- نعم فتاة في الثامنة عشر من عمرها ، خريجة جديدة .

- وما المانع في أن تظهرني كفتاة مدللة ؟

- عتدك لن يستخدمني أحد لهذا النوع من العمل . ومع أنني جديدة

كثيراً كما ترى ، لم يقصدني أحد .

- ولكنك حصلت على عمل جيد في هذه الشركة . فهي ذائعة

الصيت .

- هل تعلم اني لاقيت صعوبات جمة حتى حصلت على هذا العمل !  
لقد خذلت عدة مرات ، ولا شك لك ان هذا ليس لنقص في مؤهلاتي ...  
لا مصدقي ... ولكن لظنهم اني شعراء غيبة . ولم تساعدني مؤهلاتي على  
محو ذلك الانطباع .

- انه عيبه كبير ان تكوني شعراء جبيلة .  
- كفى يا ديفيد ... حتى انت لا تعاملي بطريقة بجدية ... ان هذه  
هي مشكلتي .

- آسف لازعاجك ... اخبريني عن والدك وما يفعلان ؟  
يا له من موضوع سهل للمناقشة . فكثرت جاكولين وهي تصب  
النشاي :

- انها في الوطن الآن ، اشترى بيتاً في مين وسيبضيان فيه قرابة عامين  
فوالدي يزلف كتاباً عن التطور ، ومضى انتهى منه ، سيذهبان ثانية عبر  
البحار .

- وما الذي جعلك تأتين الى غانا ؟  
- كنت دائماً أرغب بالعودة الى غانا لأعمل ... اني احب هذه  
البلاد .

شعرت جاكولين بالاضطراب لأنه لم يكن من السهل عليها ان تتكلم عن  
مشاعرها . فقد اساء فهمها كثير من الناس ، وطلبوا يعقدهم انها غلاة مثالية  
خيالية .

- حسناً ... تعلم اني عشت حياة رقيقة ، حصلت فيها على كل ما  
أريد بل اكثر . ولكنني كنت اشعر بعدم الرضى عن هذا . كنت احاسب  
نفسي ، لهذا لم اتفق بكل ما قدم لي . بيتنا يعاني الكثيرون بطريقة او  
بأخرى . لهذا أردت ان اعمل شيئاً .

- اشوك ذلك ، اذن اتيت الى افريقيا لشريعي ضميرك ، وتخدمني  
الفقراء ، بدلاً من ان ترسل بضخ عولارات الى جمعية الصممان .

- كيف تجرؤ يا ديفيد على قول هذا ؟  
- اذا هذا ليس قصدي ؟  
- غلظتكَ تعرفني تماماً .

- لا ... كنت صغيرة في السادسة عشر من عمرك عندما كنت الفاك ،  
لطيفة ، مرحّة ، وحيدة .

لم تقل جاكولين شيئاً ، اذن هو على حق ، فقد تغيرت أفكارها خلال  
تلك السنوات الست التي لم تعد تجتمع به .  
أردف ديفيد :

- انظري الي يا جاكوي .  
نظرت الى عتيه الزرقاوين الصابنين فقالته :

- أردت ان أعرف اللواقع التي قادتك الى هنا . ولكنني انحطت طرح  
الموضوع ، وأزبد منك الا ترتكبي الخطأ نفسه الذي ارتكبت ، لا تكوني  
متطوعة .

بدا ديفيد حزناً ، تذكرت جاكولين حابه عندما كان بكافح لوضع  
المشاريع للقرية ، وما اسابه من خيبة أمل ، وغضب فعلمت قائلة :

- لقد تجرّوت من الوهم .  
- لقد عانيت خلال مدة عامين عندما عدت الى الولايات المتحدة ، حتى  
تأملت نفسي من جديد .

- ولارك اعاصي الآن .  
- ولكنني تعلمت درساً لن انساه ، انظر الى الأمور بموضوعية ، وبهدوء  
على الدوام دون أي نظرية عاطفية .

- تبدو ساحراً الآن ، لا بد ان هناك حلاً وسطاً .  
- أريد ان اكون عملياً وعاقلاً ، وأريد ان تكوني كذلك .  
- ان عملي لا يستوجب أي تورط عاطفي .

- انه غاية في الجدة ... تعالي نجلس على الشاطئ .  
جلسا باحثينها ، ومشيا على الشاطئ . حفلة على الرمل القاسي  
الرملي . نظارت تنورة جاكولين الطويلة حول كواحلها ، فشعرت  
بحريتها وسعادتها دون مراقبة ما .

هفتت جاكولين في اعصابها : اني دائماً مراقبة ، افكر بمايترو وماذا  
سيظن ، وماذا سيقول ، وكيف سيصرف ... لا ... لا تريد ان تفكر  
به الآن .



لم تستمع إلا أصوات الأمواج المزججة ، الزاحقة نحو الشاطئ .  
الضالية عند أقدامها . كان زيد البحر يتلألأ بشكل رائع تحت له  
الضوء ، شعرت جاكين بضالتها أمام عظم مياه المحيط ، والتي  
الضالية في قبة السماء .

تبعها مسيرها عتاكلي الأيدي ، بتمتعان بهذا الجو الساحر . وقد  
رعى ديفيد حذاءه على الرمال ، ووقف يجيدق في وجهها . توقفت هات  
ونظرت في عينيه فقال : « اني شاعري للغاية » . شدتها نحوه ورو  
فأقربت منه بدورها .

وبعد منتصف الليل ، قاندا إلى منزلها فقالت :

« اشكرك يا ديفيد . كانت سهرة رائعة .

« ولي أيضاً ، ثم مال نحوها وقال : سنسهر معاً قريباً ، ولكن لا تنس  
ثياب السباحة .

استلقت على سريرها فذكر ديفيد وبزهرتها على الشاطئ . ماذا  
بعد أن عاشها « ان هذا لايد » ، نعم كان ذلك لطيفاً . ولكن . . .  
يكفي . هناك شيء مفقود . انها الشرارة الكهربائية ، اثارها نفسها وهم  
تقريب الغطاء منها . هل ترغب في شيء خيالي . شيء لا يوجد إلا  
التقصص العاطفية . انها على يقين من ذلك . على الرغم من انها عاشت  
تلك اللحظات . ومنذ أمد قريب عندما عاشها ماتيو عقب عودتها ذاك  
المساء متمتاً لما ليله سعيدة ، فسرت شرارة كهربائية في أومضاتها ، مع اند  
يكن من الأشخاص المفضلين لديها .

انها تريد أن تعجب شخصاً يحبون ، امتاناً بفقدانها الزواجا ، وغرقة  
سكونها من الأعماق . وسارع من نبضات قلبها .

تهدت وهي تنظر إلى السقف . . . لا يوجد هذا النوع من الرجال ،  
ولا يوجد في الحقيقة هذا الحب الذي يتضمن كل ما نطلبه ، والذي يرضي  
أحلام الفتيات . همت لنفسها وهي تشعر بالحزن والخسارة ، « ما زلت  
معلقة يا حاكمي » ، ثم ما لبثت الكرى أن داعب عينيها .

لم تفكر جاكين لصديق . فمن السهل جداً لفئة تيمش وحيدة ، أن  
يحموم حولها شبان كثيرون متحمسون في مدينة كأثرا يدعونها إلى العشاء

والمرافق . ولكنها فضلت أن تضي معظم أوقات فراغها بصحبة ديفيد  
حيث استمتعا بالساحة والرقص ، ومشاهدة الأفلام . لم يدها قليلاً من  
الأفلام المعروضة في المدينة إلا وشاءدها . كانت جاكين تستمتع بأوقاتها  
مع ديفيد ، ولكنها في كل مرة تكشف التغيير الذي طرأ على شخصيته .

لقد اختفى حماسه الذي كان جزءاً منه ، ويؤلمها أن يتكلم بسخرية وتشاوم  
عن المشاريع التي يعمل بها عندما يسأل عنها . لم توافق على هذا ولكنها لا  
تستطيع أن تثير هذه السلبية . كانت جاكين تقبل دعوة غيره من الشبان  
بين أوتة وأخرى ، ولكنها سرعان ما تعرضن لبعض المضايقات التي لا  
ترضى عنها . وفي إحدى الليالي تعرضت لازعاج كبير ، فاضطرت أن تخرج  
من تصرفات شخص خرجت معه . وما أن وصلت إلى المنزل حتى كادت  
تفجر .

الثق يمتيو مضادة ، وهي في طريقها إلى المطبخ لتأخذ كأساً من الماء  
البارد وما زالت في أوج غضبها . جذبا من يدها فاتفجرت مزججة :

« لماذا هذا الانفعال . هل انت مجنون ؟

« نعم . بالتأكيد .

« ماذا فعلت لك الآن .

اجعلها والبعشة قللاً عيني ، وهو ينظر باحترار إليها :

« لا شيء . هذه المرة . اني مجنون من الشخص الذي خرجت معه . اني

إلى المكتب لزيارتك الأسبوع الماضي :

انطلعت زجاجة الماء من الثلاثة ، وصبت لنفسها كأساً . عبس ماتيو

وهو يقول :

« هذا الفتى الذي لا يستطيع كبح جماح نفسه .

« اننا لا اعلم شيئاً بهذا الخصوص . ولكني اعلم أن أفكاره عن المرأة

الغريبة غريبة جداً .

« ألم تهمل له المهمة ؟

تابع كلامه ، وهو ينظر إليها بازدراء من رأسها إلى أخمص قدميها ببطء

وتكاسل . فعضته جاكين على أناسها غاضبة .

« هل لي أن أسألك ما فعلت ؟

اجابها :

- انظري الى هذا الثوب الذي ترتدين .

نظرت الى ثوبها البشع ، والازرق الطويل الممدد الى الارض .  
كان ثوباً جيلاً ملاناً لها ، ولكنها لم تدرك على الاطلاق ما فصله ماتيوس .

- وملاً عن ثوبي ؟

- انك لا تتركين شيئاً للفخيل . اليس كذلك ؟

- انني مغطاة من رأسي الى اخصر قدمي كما ترى .

- لا فرق في هذا .

- وما علي ان افعل انك ؟ هل الف عيمة حولي ، واداعي الي اذن عشي

دطل ؟

- تعالي الآن ، اسند كأس الماء من يدعي ، لا تغطي مني . انني وان  
كل الضفة انك تصمكتين من المشجرة ، ولكنني ارى انه يكفئك الشجائر مع  
شخص واحد في الليلة الواحدة . وضع كأس الماء في الخوض ونابح  
كلامه . من الأفضل لمن له حياة اجتماعية حافلة مثلك ، ان يحفظ  
بقوته .

غل العصب في عروقها ، وهي تنظر الى وجهه الساخر ، ومكتيه  
العريضين . قرأت في عينيه انه يتوقفها ان تنور في وجهه . حسناً لمن  
تفعل . لا تدري من اين جاءتها القوة وطول البال ، حتى سيطرت على  
اعضائها ، وايسمت في وجهه خائفة .

- انك محن يا ماتيوس . ليلة سعيدة . ثم خرجت من المطبخ دون ان تنظر  
اليه .

- اتقي لو استأجر شقة في مكان آخر . مهمت وهي غلغلم خدامها .  
نستطيع على الأقل ان نعود ليلاً الى مطبخها ، فأكمل ما شاهدت بدون ان  
شلطي به . إنها برفقة طوال النهار . ولكن من المؤكد انها لن تعثر على  
مكن . ونحب ضماً هذا المكان : انه صغير ، ومريح ، وأنيق يستأثره  
الرائقة ، وومئذ والأضيواء التي احضرها من وطنها . اعطتها ليزا سجادة  
صغيرة ليست بحاجة لها ، فبدت جميلة على الأرض الخشبية ، اجبت  
الفروشات السطة التي صلبها لها أحد التجارين في طرف الشارع .

خلعت ملابسها ، وهي تنهد . لم تغط سوى عانة الشهر ، حتى  
اصبحت مرتبطة عاطفياً بمنزلها . كم تشعر جمعة عندما تجلس على الشرفة  
تقرأ أو تكتب ، أو تراقب التمايح الصغيرة وهي تسابق بعضها بعضاً .  
أو تراقب البستاني وهو يشذب الحديقة بعد عودته من قريته . كان فخوراً  
بعمله . وكثيراً ما كان يحضر ابنته معه ، كي تلعب مع ابنة كويس . كم  
تستمتع بمراقبتها ، وبهما تطاردان ذجاجيات كويس . قفصحكان  
وتصرخان .

ونفت جاكولين تحت الدش تفكر . لماذا لا تترك العمل . . . وغير  
جيكتر انها احبت العمل ، ولكنها لا تحتل الرئيس . ميسر ماتيوس جداً  
بهذا . انها واثقة من ذلك . خرجت من الحمام ونشفت جسمها . لم تكن  
العودة الى الوطن حلاً جذرياً لهذه المشكلة ، لأنها لا ترغب في ترك  
عملها . انها تحب غدا وتحب عملها . ولكنها لا تتحمل ماتيوس سيمور .  
انجسكت جاكولين كثيراً في عملها ، حتى انها لم تنبه للدخول ماتيوس الى  
لكتب . نظرت اليه متدعشة عندما وأنه يقف امامها قائلاً :

- يجب ان تذهب الآن لنصل الحفل في الساعة السادسة .

- وأي حفل هذا ؟

- لم تسع عن الحفل ، ولا تريد الذهاب اليه . . .

- لم أسمع شيئاً عن هذا الحفل ولا أريد الذهاب . ثم ألتفت  
دعوة .

- لا داعي . . . متلعين في كل حال . . . علمي .

انه يريد ان يملئ عليها تصرفاتها حتى في أوقاف فرائقها . الا يكفي انها  
تعمل معه معظم نهارها ، وتشاركه الطرز نفسه ، وتأكّل معه وجبات  
الطعام ، لتراه أيضاً الى الأماكن الاجتماعية . انفجرت شرارة الغيرة في  
داخلها .

- لن اذهب .

- لن تذهبي ا حل لي ان اعرف السبب ؟

- لقد أخبرتك . لم ألتق دعوة . وأشعر بانني سأصاب بصداغ شديد  
هذه الليلة . انه الم الشقيقة .

اقرب منها اكثر ، وانصبت عينه في عينها وقال :

- ستدعين . لن استطع ان اضعك بشكل افضل يا صغيرتي ...  
يجب ان تدعي لان الحقل يتعلق بالعمل .

دامها شعور مفاجئ من الالامبالاة وقالت :

- هل اذهب لارضائك ؟ وهل ستطرحني من العمل ان لم احقق رغبتك  
هذه ؟

نصب قامته ، ووضع يديه في جيوبه ، علمني لغة طويلة بها وقال ببطء :

- ليس في نيتي ذلك .

- مفاجئة . الا تريد فصل من العمل ، كنت اعتقد انك تنوي لذلك .

- ليس من عادتي ان الفصل الموظفين الذين يقومون بواجبهم على اكمل  
وجه .

لم يكن يحلمها ، بل يخبرها الحقيقة الواضحة ، فهي واقعة من قدرها  
على العمل . لم تستطع ان تتجاهل سؤال الورد غيبتها فقالت :

- حتى ولو كان الموظف امرأة .

كان وجهه قاسياً وصلباً ، ولكنها لم تتجشأ نظراته .

- تريدني تذكيري بما مضى . اليس كذلك ؟ اذن دعني اخبرك يا  
صغيرتي التي اهتم بالحقل والكفاية ، والقدرة على التحمل ، وليس  
الشكل ، لن اهتم ولو كنت دينصور ( حيوان ضخم من الزواحف  
القرنفة ) ان كل ما يعني هو تفيد عملي باتقان .

اضحكها الفعالة هذا ، ولكنها عشت من ذلك ، فاجابه بمهذبة :

- كم تلهفت لسماع علام اطارك لي ، فهو يعملني ناعمة كالزبدة .

التفت عيونها للحظة ، ولم يضرها بكثرة . ثم مشى ماتيو نحو الباب  
وقال :

- اني ذاهب الى المنزل الآن . امل ان تكوني جاهزة الساعة السادسة الا  
عشر دقائق .

فرع ماتيو باب غرفتها ، وكانت غير مستعدة بعد . قالت لنفسها ،  
ليستظر ، متجاهلة قرع الباب . ليس عليها الا ان تضع اقراطها ، وترتدي  
ثوبها الطويل ، وتتعل حذاءها . وبعد لحظة فتح الباب اكثر ، ورايت

ماتيو يقف امامها انبأ . نظرت اليها وكأنه يقيّمها :

- حسناً . لن تنتهي امرأة في الموعد المحدد . اليس هذا صحيحاً ؟

لم تستطع ان تبقى هادئة ، وهي تلتقي نظراته المتحصنة . لكنها لم

تطلب منه ان يخلو الغرفة كيلا يضحك منها . فهي لا تريد ان ترصيه .

حاولت ان تصح احد اقراطها وهي تتجاهله . ومن شدة ارتباكها سقط

برغي القروط في المفضلة ، فاسترعت بالانقضاء ، وحاولت ان تعيده الى اذنها

ولكن عبثاً . فسالها :

- هل ازعجتك .

- لا .

ضحك خائلاً لان صوغها دل على ارتعاجها . كتف يديه ، وامست ظهره

الى الباب وقال :

- لو كنت تؤمنين بالانقبضة ، لما سمحت لرجل ان يدخل ، الى

غرفك .

- في الحقيقة اني مستعدة بهذا .

بدل وقته ولكنه لم يذهب خارج الغرفة . ارتعشت اصابعها كثيراً ،

واحررت اذنها ، ولم تستطع ادخال القروط في اذنها . فقال لها ماتيو :

- دعيني اساعدك . ووضع يده على كفها ، فهرمت منه قائلة :

- اخرج من هنا .

- ليس الآن . تبدين اكثر جاذبية ، وانت هكذا ، امسك بكضيبها ،

انك ترهقين ، لا تقلقي ليس في نيتي ارتكابت جريمة .

جذبها اليه كانت تريد ان تقاومه ، ولكنها لم تستطع ، فقد كان اقوى

منها . كان عنقه قوياً . احسبت يديه القويتين الدافئتين على ظهرها .

استكانت بين ذراعيه وعانته بدورها .

- لا . يجب الا استسلم له كلياً شاء ان يلمني . ... يجب ان

اقاومه . ... كان هذا ما يدور في عقلها ، وهي ما زالت بين ذراعيه .

داعبت يدها ظهرها ، ثم تقللت اصابعه في شعرها ، حتى انسدل على

كفها . قبل عينها المغلقتين ، فاختلج قلبها كظافر . لم تعد تفكر في

شيء . كانت قلعاها ترنعتان عندما تركها ، فابتسم في وجهها بمهذبة

عريضة وقال :

أذن ، لقد لاحظت أنها تجاهلت . هل يريد أن تتفانى عن تصرفاته  
كان شيئاً لم يكن . أجل إنها حائقة ، ومستيقى كذلك . نظرت إليه ببرود  
صليبي . فقال لها :

لم ادخل غرفتك لهدف ما . أنت التي طلبت أن ادخل .

أنا . أنا طلبت منك ذلك وأنت بالذات ؟

لم تقولي ذلك ولكن كان مظهرك مليحاً . وكان عليك أن تعرفي ذلك  
جيداً .

أطبقت أمانتها بحيلة وغضب .

كنت في غرفتي الخاصة ولم اطلب منك الدخول .

ولكنك لم تعترقي على دخولي إلا عندما اقتربت منك .

لم يكن لديها ما تقول . فصاحت من غضبها الساحع . أمسك بذراعها  
وقال :

تعاي تأخذ كأساً من العصير لعله يزيل حدة ثورك ، ثم تبدأ تأكل  
واصاف ، لماذا تصعين من الحية قبة يا جاني . أين اختفت وجهك  
المرحة ؟ تتصرفين وكأنني أدبتك . وكما اذكر لم تحولي مفاومتي .  
لأن وجهها قليلاً وقالت :

لست عل حتى في أن تدخل الى غرفتي هكذا .

نظر إليها بدهشة دون أن تستطيع قراءة عينيه وقال :

حسناً أي اعتبار .

خلقت به بدهشة ، لم تفهم شيئاً من وجهه ، ولم تسطع الكلمات  
فأردف :

حسناً هل تريدني عصيراً الآن ؟

نعم من فضلك عصير الليمون .

غاب ماتيوسمط الجوع . لم تصدق أذنيها ، هل حقاً اعتبر منه . لا  
لا تصدق . . . إن ماتيوس لا يعتذر بها كانت الظروف . دوى صدى  
قلباته في سامعها . ففكرت أن الموضوع قد انتهى طالما أنه اعرب عن  
اعتذاره . وبعد أن فكرت باعتذاره . أدركت أنه نوع مختلف من الرجال .  
ومع أنه اعتذر ، لكنه المتصر دوماً .

أرى أننا نستطيع الانسجام بلا عصير وعشاء فاخر . ما رأيك ؟

التركي وحدي . اخرج من هنا .

حاضر يا سيد .

رأته بالمرأة كان بعض شغفه ، والابتسامة تلوح في عينيه . خرج وأغلق  
الباب وراءه .

جلست جاكوب على حافة السرير ثم لحقت . لماذا فعل هذا ؟ هل لأحد  
تأثيره فيها ؟ هل فعل هذا ليشعرها أنه رئيسها معها كانت الظروف  
والأماكن ؟ وقتت وحاولت أن تعيد لتصفيف شعرها بيديها المرتجفتين  
ثبتت الأظراف في أذنيها ، ثم ذهبت لتكمل ذبتها . نظرت الى نفسها في  
المراة راضية .

لم يتوه احداهما بكلمة حتى وصلا الى منزل جورج جينسونز كان الخجل لم  
الخديفة التي انبرت بالكهرياء ، تحت قبة السماء ، وطلال أشجار المائدة  
والنخيل . الضيف الناس في حلقات يتسامرون . عرفها ماتيوس على الجميع .  
ولكنها حاولت جعله أن تحفظ اسماء الديوماسيين ، ورجال الأعمال من  
اهل خانة وأمريكا . لم تركها ثباتها . فسرت كثيراً وهي تحدثت الى  
السيد لوردور من رجال اعمال غانا . زار السيد لوردور أوروبا والشرق  
الأوسط ، وقص عليها الكثير من مغامراته الشيقة التي تراكمت بسبب  
اسفاره . وعندما انتقلت الى جهة أخرى ، قابلت أناساً متعنين . كانت  
ترى ماتيوس في القبة والأخرى ، وهو يتكلم مع أصدقائه ، واضعاً يده في  
جيبه . ويمسك بالأخرى كأساً من الشراب . كان يبدو جدياً معظم  
الوقت . لم يأت للنسبة ، بل لينتهز الفرصة كي يتكلم أمور العمل .  
غنت جاكوبن ألا تعيره اهتماماً . فقد كانت تراقب كل حركاته ، أين  
كان ، ومع من تكلم ، ما قد تحرك من مكانه . وكيف تحرك . وعندما  
وجدته وحيداً للحظة ، أخذت تحسب به . وفجأة وكأنه شعر بنظرها فنظر  
إليها . التفت عيناها ففصحت غا . وبالمطبع الشاحب بوجهها عند  
لتجاهله . ولم تبادل الابتسامة . وبعد لحظة سمعته يمس قريبا .  
ما رأيت حائقة علي ؟

مكتفي منذ عدة أسابيع ولم تكوني موجودة حيثك . أخبرني أنه يتم بمشروع يتعلق بفول الصويا في قرية والدته ، وبناء على تعليقاته ، أرى أن المشروع . يريد مني أن أذهب إلى القرية وأفتح آباء والأعيان في القرية بآرائه . وقد كثر الدعوة هذا المساء . قررت أن أتي نظرة هناك . اعتقد أن الشاي متحمس للمشروع ، أساسي أنه سيقوم بعمل جيد .

فأنا جاكين :  
- وهل ستقطع كل تلك المسافة لتلقي نظرة ؟  
- تستطيع أن تقوم ببعض الأعمال في طريق العودة ، استقرت نظراته عليها وسألها ، ما رأيك لو تذهب معاً ؟  
لماذا ؟

- تستطيع ستيفن أن يتكفل بأمور الماعز في الأسابيع القليلة المقبلة . اعتقد أنه بإمكانك مساعدتي هناك . سندون ملاحظاتك ، وتكتين تقريراً عما ستجده هناك . وإذا كانت جديرة بالاهتمام . . . متعدين بحثاً دقيقاً عن معظم الحقائق والأرقام . . .

جلست هادئة تفكر بهذا الاقتراح . بدا الأمر غريباً للغاية . وهذا يعني أنها ستهتم أكثر بالأعمال الفعلية التابعة للشركة وهذا ما ترغب به . ولكن ما خلفيات هذا الاهتمام ؟ هل اكتشف ماتيو أن لديها إمكانات يريد استغلالها ؟ أنه صادق وأنياب في تقدير عملها .  
- يبرني أن أذهب إن كان يوم سي مساعدتك .

دخل شارع منزلهما ، فخرج علي عائداً من زيارة صديقه ، ليتمتع لها البوابة .

- لن يكون الأمر سهلاً . اجاب ماتيو وهو يفتح لها باب المنزل لتدخل ، لا بد من بقاء السيارة معنا في القرية . لهذا لن نذهب بالبطائرة إلى شمال سنغافوري آخر الشهر ونصل إلى هناك خلال يوم واحد .  
- منصل لتعامل في يوم واحد ؟  
- الا تستطيعين ذلك ؟

فهمت ما يعنيه من هذا السؤال فالتت :  
- أنا طبعاً أستطيع . ولكن هل تساعدنا السيارة في هذا ، أم أفكر بمشكلة السيارة .

عاد ماتيو بالعصير ، ثم نكلا مع بعض الناس ، وبعد ذلك ترك وشأنها ، وذهب ليتكلم مع شخص آخر . وخلال تجوالها اكتفت جاري بدويده وجهاً لوجه . وضع يده على كتفها مرحباً :

- لم أكن أعرف أنك موجودة .  
- لا لم يكن متوقعاً أن أتي . أثبت بأمر من رئيسي .  
- لا تدعي السحر يسمع ذلك . فقد يفتيك من هنا . دعني أعرض على بعض الأشخاص .

صافحت جاكين الكثيرين ومن بينهم استاذ جامعة من هولندا وجراح من غانا ، وصاحب مكتبة من لندن . عاد ماتيو ليصطحبها بجودتها للمترول وفي السيارة قال لها :

- لقد استمتعت بلم الأهمية . اليس كذلك ؟  
- أجل . أن لا أحب تدمير السيدات من الخدم ، وعدم توفر جميع أنواع الأظرفة الخ . . . فمن لا تتكيف مع العيش هنا ، عليها أن تعود إلى بلادها .

اجابها بجمود :  
- هذا صحيح .

شعرت جاكين أنها أساءت إليه ، فقد بطن أنها تقصد داياتا التي عادت إلى وطنها لأنها لم تحب غانا . إن تعليقها غير لائق وهي تأسف لذلك .  
- أسفة . لم أقصد أن أقوم تصرفات الآخرين .  
ابتسم بفتور وقال :

- لا بأس . لك أغل حتى نحيا تعلمين .  
قاد السيارة ببطء عند المحطف ، ثم نظر إليها وقال :

- هل تذكرين الرجل ذا الثوب الأزرق الطويل السيد مينلا ؟ تذكرت الثوب . فقد كان معطراً بما يشير إلى أن صاحبه من شمال المدينة .  
- أجل تقصد الشاب الذي عاد من كاتاساس يحمل شهادة دكتوراه في العلوم الزراعية .

- نعم . انه هو . أخبرني أنه ابن أحد الأعيان في الشمال ، داس ماتيو الفرقة كيلا يصطدم بسيارة اجرة ظهرت فجأة ثم تابع . لقد زارني في



فتح لها الباب الخاص بها وقال ضاحكاً :  
- اتركي امر السيارة للأقارب .

## ٥- هدنة جميلة

بعد أن تناول حاتيم وجاكولين طعام الافطار الذي اعدده لهما كويبي ذو  
العينين المغفلتين بالنوم ، انطلقا باتجاه الشمال الساعة الخامسة صباحاً ، وما  
زال الليل غليماً والجليد بارداً .  
كان كل شيء هادئاً من حولهما ، ولم تكن حركة المرور قد بدأت تنشط  
بعد ، سألهما :

- هل زرت شمال غانا قبل الآن ؟

- أجل زرت عدة مرات مع والدي ، ومرة مع صديقة في هولندية . أن  
وانداعا ومها طيخان في بعثة طلبة الى أفريقيا . ركبنا سيارة شاحنة ، وتابعتنا  
بقية الرحلة مظفلتين ، توقف السيارات للترتيب بجانبنا .  
- أجل ان البلاد هنا آمنة أكثر من الولايات المتحدة .

- لن احلم بالنفل هكذا في أمريكا.

- بالتأكيد لأن المجتمع الافريقي متفوق في تهذيبه.

- ان هذا أحد الأسباب التي دفعتني الى العودة الى غانا.

التفت اليها، ثم نظر أمامه قائلاً:

- انك تحين هذه البلاد أليس كذلك؟

- نعم خاصة الشعب، فالناس هنا طيبون ومرحون، ان الافريقي

فخرون كثيراً بأنفسهم وعظمون.

مرت بها شاحنة كتب على مؤخرتها: لا تستطيع ان تغير شيئاً في

صغيرك.

ضحكت جاكلين وقالت:

- وهم فلاسفة أيضاً. انظر الى تلك الشاحنة.

أضحت الشمس البراقة حلة رائعة على الكون، حاديت ان تحولت الى

وهج متلاهي. كانت الطريق الى كوجامي مكتظة بالسيارات، ومع هذا

فالسائقون ينفذون ميازايم بسرعة جنونية ويحدثون ضوضاء مروعة.

كانت اللان مظلة بخانة خضراء. سرت جاكلين هذه المناظر الجميلة،

وتأملت القرى التي مراها. تناثرت أبنية صغيرة الى جانب الاكواخ

التقليدية التي صنعت متوقفاً من سعف النخيل.

ولحت ظلال أشجار الماندا، جلست النساء على مقاعد طويلة تحضرن

الطعام، أو تطعن صغارهن.

تناولا غذاهما في مطعم كوجامي، وغادرا بسرعة كبيرة كيلا يفوتها

وقت انطلاق المركب ياخي عبر بحيرة الغولغا.

كانت مدينة البحيرة تجم بالشباب حتى في منتصف النهار. وغطت أشعة

الشمس المحرقة، كان المركب في منتصف البحيرة ولحن لسفوق عودته أكثر

من ساعة. وغطت أشعة الشمس وغطت السيارات الخاصة أولاً، ثم عله

كثير من السيارات الشاحنة. لقد بعض سائقي الشاحنات تحت ناقلاهم،

اتقاء للحر الشديد بعد ان طال انتظارهم لعدة أيام.

ظهرت بعض التماج هنا وهناك. يحوم بينهم عده سائري من أشعة

الشمس المحرقة.

تقدم ماتيوي سيارته بجوار سيارة الشحن، متفوقاً الأطفال والكائنات

الحية الأخرى، التي كانت تمشي بين السيارات دون وعي أو إدراك.

لمش ماتيوي وجاكلين حتى وصلتا طرف البحيرة، فتأهلا المركب يتهاوى

بطء فوق المياه. انتشرت قوارب الصيادين المحلية بالقوارب برفقة على

الشاطئ، تنظر ان تبدأ رحلة جديدة.

مرت بجانبها قاعة صغيرة لحمل قوط الموز على رأسها. توقفت لتحمل

بها عيينتين متعتين، وعلى وجهها نظرة باردة لا حياة فيها. الضح حرمها

أولاد أخرون، ينظرون اليها بصمت، أو يشيرون بأصابعهم وهم

يلفقهون. ضحك ماتيوي وقال:

- انهم يمدقون بك، وأراهم بأنهم لم يروا فتاة ذات شعر أشقر هكذا.

غمر الأولاد بعين، فانجسروا بالفضحك عالياً. وكان غمرة العين

مضحكة للغاية. أخذ ماتيوي يعمز الأطفال أبنا وجدهم فسأله جاكسون:

- هل يمزك أحد بدووه؟

- أبداً، انهم يمدقون، أو يضحكون، أو يصيحون.

- سيظنون انك ساحر، تقوم بأشياء مجنونة بواسطة عينك.

- وهل غايي.

- وهل تريد ان تعطي الناس انطباعاً عاطفياً عليك؟

اجابها ولي عيسيه ابتسامة:

- وهل هذا ما فعله؟ هل اخذت انطباعاً خاطئاً؟ كنت شاباً ميتاً كما

كنت في البداية، مغالياً في تحيزه، شرساً، وذا كبرياء متعال، وغير متزن

وذا اخلاق سيئة الخ... الخ.

- لم اقرر بعد.

يدا على وجهه اضطراب ساعره:

- ربما لم اتمكن بعد هذا. انني زلت فعلاً، ولكن لم تنح لي الفرصة

الكاملة لاثبات ذلك.

- احب ان تثبت ما تقول.

وما ان نفقت ذلك، وادركت المعنى المزدوج لجملةها. حتى شعرت

بالخجل يضرع وجهها. انظر ماتيوي اليها وضحك من اعماقه مما زادها

احمراراً. ثلثت وقالت:

لم القصد...

أجابها وهو ما زال يضحك:

- نعم فهمت خلفيات هذه الجملة التي لم تعنيها. لسناك يزل أحياناً وغداً خطر كبيراً.

الحمد لله... ها قد أتى المركب وعابها أن يعودا إلى السيارة. انجبت جوع المشاة إلى الشاطئ، يحملون الخبز والسلال والأطفال. ثم اتى عدد السيارات.

كان عليها أن يسيرا ببطء كي تحمل السيارة فوق المركب وفقاً لتعليمات رجل يصرخ ويؤشر بما يفوق طاقته. تبعهم شاحنة كتب عليها شعار: الأشياء الحلوة لا تدوم.

بدأ النهار مملاً وطويلاً، وكأنه لا يود أن ينصرم. كان جسمها يؤلمها من الحر والحب انمشها النسيم قليلاً في السيارة على الرغم من أنه كان مملاً بالتيار والحرارة. وبعد أن حل الظلام، وأشارت الساعة إلى ما بعد السادسة، وصلنا إلى فندق كينغ ريسست هاوس لم يكن لدى جاكولين أية طاقة تمكنها من الهبوط من مقعدنا، فقد شعرت أنها ملتصقة به من العرق. وجدا مكتب الاستقبال خاوياً. وبعد برهة استطاع ماتيو أن يعدل على الرجل الذي بدأ نائماً، وأخذ يقلب دفاتره من الأمام إلى الخلف وبالعكس عدة مرات، ليبحث على اشعار الحجز الخاص بها، نظرت جاكولين إلى ماتيو، وبكاد رأسها يجرى في أية لحظة. أنها بحاجة لدوش وسنبر ولا شيء غير ذلك.

- ها هو، قال الرجل أخيراً وعلامات الارتباك يادية عليه. المتجندات الفضالية الدولية بيت من طابق واحد رقم ٢٦ لمدة ثلثين.

فقال ماتيو متردداً:

- حجزنا من أجل شخصين. اعني عروفتين واحدة لليلة واحدة وأخرى لي.

- لم يحجز سوى مكان واحد، يوجد في البيت الريفي سريران.  
لأجابه ماتيو يحنق:

- اتنا نريد غرفة أخرى.

داهمت عينا الرجل نظرة مسكونة وأجاب:

- أيف يا سيدي فالمكان ممل. هناك مؤنث في المدينة... ولكن قد تجد غرفة ثانية في الغد.

- أريد غرفة ثانية اليوم، وأريد أن أقابل المدير من فضلك.

رد الموظف ببرود:

- لقد سافر المدير يا سيدي.

خشيت جاكولين أن يتفجر ماتيو غضباً، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ساد صمت لبرهة وجيزة، ثم انضت إلى جاكولين باستسلام وتعب ظاهر على وجهه وقال:

- حسناً ليس علينا إلا أن نشاؤك البيت الريفي. بما إن المؤنث سيعقد في المدينة، فيكون بيت البعثة ممكناً أيضاً.

أخذت جاكولين تفكر بالموقف... سأشارك مع ماتيو في الغرفة نفسها، وسريه بجانب سريري. تواردت في خيلتها كل الاحتمالات. سنجني للشاب. لم يوافقها المشهد الذي حصل في غرفتها. وشامت أن كان ماتيو سيتفعل هذه الفرصة إذا ناما في الغرفة نفسها.

- بحق السماء لا تنظري إلى هكذا، وكأنني تدبرت هذا الموقف. أخرجت حرجلاً. شامت ترى هل قرأ أفكارها.

- إلى أفضل الانفراد بنفسه.

شعرت أنها سخيفة عندما قالت ذلك، ولكن كان عليها أن تقول شيئاً. قد يكون هو الآخر راعياً في الانفراد بنفسه. ولكن ليس هناك من خيار. أن الانفراد بنفسك في غرفة خاصة بك راقية، يجب أن تتنازل عنها. اتنا بحاجة للنوم والراحة. لن نأخذ السيارة بنا، ولو حلت علي الثلاثة لأنك محتشمة. خاصة وأنه يتوفر لي سرير جيد وسباتام عليه.

أدار ظهره ومضى نحو البيت الريفي بدون أن يتبع لها أية غرفة أخرى للمناقشة. لحلم تريقاً من أن تبيحه. كان بيتاً ريفياً قديماً. يتألف من غرفة جلوس كالعلبة، وحمّام وغرفة نوم. كانت الجدران قديماً مطلية باللون الأزرق، وقد أصبح لها رمادياً بتأثير التباين، ولمسات الأصابع. أما الغطية

السريـر لمعزقة وقديمة، ولكنها نظيفة وكانها غسلت لثوبها. وضع جهاز لتكييف الهواء في غرفة النوم. اذارت جاكولين مفتاحه بدون حاس يذكر لها منها انه لا يعمل. صدرت زجاجة وبطء دار المحرك وبدأ يعمل... مطلقاً نفحة من هواء بارد.

قالت مندهشة:

- انه يعمل.

اجاب ماتيـو ساخرآ:

- قلني به قبل ان يتوقف. او يقطع تيار الكهرباء في منتصف الليل.

وعندما اخذا حوالتهما من السيارة، اخذ ماتيـو مجلته، واستلقى فوق احد الاسرة وقال لها وهو يشير الى الحمام:

- ادخلي اولآ.

جمعت جاكولين حوائجها ودخلت الحمام. كان الحمام قديماً بئياً وخبثاً اذ تركت مياه الاثوية آثارها واضحة عليه. اما حامل الدوش، فقد كان مزوداً بسطل عليه نافذ، كما وجد سطل آخر الى جانب المراحيض مما يشير على ان ماء الصابون لا يجري. شعرت بالاسياء فقله اول مرة تأخذ دوشاً بهذه الطريقة بعد يوم متعب. استحمت وارتدت ملابسها وعادت الى الغرفة.

تهدت ياريتايج عندما لفتج وجهها نسيم خفيف الى من غرفة النوم. ميتعتان بهو لطيف، ونبارد أثناء النوم. نام ماتيـو بسرعة ومجلته على صدره. أصبحتهما منظره الذي بدا غريباً. خلعت جاكولين عباها ودست نفسها في القرائي. غطت نفسها حتى ذقنها بالغطاء الاول. لن يستطيع ماتيـو النوم وهو متسخ لهذا هتفت:

- اعرض يا ماتيـو لقد انتهيت من الحمام.

زجر وجلس، لتبطلت اللحظة:

- هل تظنين ان الدوش ضروري الآن؟

- نعم... مستعم نوم هادي. عندما تكون نظيفاً.

- اعتقد ذلك، وقف ونظر اليها وهي في السرير.

- اترددين عشاء... طبعاًم لذهدأ. نيك جيش مع اوز مثلاً؟

- لا. اريد ان انام.

- هل انت متأكدة من هذا؟

- اجل.

سحبت الثلاثة حول نفسها، وكانها درع سيحميها، كما شعرت برغبة في سريه. هل يلعب مباراة معها. وهل يظن ان شعه بخفيف.

اخذ ماتيـو حاجاته ودخل الى الحمام. اغلقت جاكولين عينها، وشعرت ياريتايج مؤقته. لم تشعر بالاطمئنان الذي كانت تحلم به. انتظرت باضطراب عودة ماتيـو الى الغرفة. زادت ضربات قلبها عندما عاد الى الغرفة يلف منشفة حول وسطه. طويلاً، قوياً، ذا لون اسمر داكن. بدا كئني الاسلام الذي تيمناه كل امرأة، اجتاحتها موجة غامرة في ان تلمسه وان تدفن وجنتها في صدره، وتداعب شعره الاسود الكثيف بأصابعها.

نضربت وجنتها وقالت:

- كان بإمكانك ان ترتدي شيئاً.

- آسف لاجراجلك. لم يخطر لي بالي أبداً اننا مستقاسم الغرفة.

نظرت الى الاتجاه الآخر... كيلا يشعر باضطرابها، لكن جهودها ذهبت سدى اذ انه يفهمها جيداً.

اهتز القرائي عندما جلس ماتيـو عليه ثم نظر اليها مبتسماً:

- هل تشعرين بالخوف مني؟

حاولت ان تجيبه بلهجة عادية، ولكن صوتها ففصح اذتيهاها:

- خائفة منك... أنا... للقلأ؟

- لا تنظامي انك لست خائفة:

نظرت اليه وأدهشها رقة نظراته، واشياء اخرى لم تظنها. شيء ما جعلها ترتجف، فحققت قلبها بحثون لم تستطع عيناها ان تفارق وجهه، ولم تعلم كم مضى من الوقت، وكلاهما يتأمل الآخر.

ورقة اخذ وجهها بين يديه هامساً:

- تلك جملة... جملة بطريقة خاصة.

ثم انحنى عليها وعانقها برفء ونعمرة. كان هذا آخر ما توقعته.

تلاشي غضبها ومقاومتها. وشعرت بقليلها يفتلج جهاداً. بدأ لها ان العاد  
قد انهار، وانما امام حقيقة واحدة لا مفر منها وهي احساسها به. احاطها  
يفرأعيه... هل هذا ما تريد؟ هل هذا ما تنظره؟ ولكنها لم تستطع ان  
تفكر بهذا في هذه اللحظة... شيء ما يشغلها.

جياكي... جياكي... وفجأة ابتعدا عنه ونعّب الى السرير الآخر.  
تصبحين على خير يا جياكي.

مددت نفسها في الفراش وهي ترتجف. ماذا حدث... ولماذا تركها  
هكذا؟

ماتيو... ماتيو لا تعلم لماذا نادته، ولكنه قال.

نامي يا جياكي نامي.

لم تحوّل عن الكلام ثانية. كان عقلها مضطرباً، ولم تستطع ان تهدأ.  
سمعت انفاسه غلاً الغرفة. بماذا كان يفكر... ما هو شعوره الآن. ليتها  
تعلم لم يكن نائماً انها متأكدة من ذلك. دامها النوم فعاتقت احلامها.  
وعندما استيقظت سمعت صوته يصغر في الحمام. عاد للغرفة وهو يفرق  
راسه مبتسماً. وقال بصوت جرد وودن ان يقصد شيئاً معيناً.

صباح الخير يا سيدتي الجميلة. كيف نمت؟  
كالفتيلة.

سأله ضاحكة وكان هذا اليوم لا تمت بصلة الى الأيام الأخرى:  
ما نوع هذا اليوم.

دعيني أختن، مشمس، حار ومثل بالرطوبة. الحرارة حوالى خمس  
وتسعين درجة اذا حالفنا الحظ، ما رأيك؟

سيء ثم تابع ما رأيك بالنهوض من السرير أم تريدين المساعدة.  
اجابته باستغفاف مثله:

لا اشكرك. سأنهض عندما تخرج من الغرفة.

حاضر. سأخرج لأنكلم مع المصافير. ولكن أسرعني فاني أتضور  
جوعاً. حيناً لم نأخذين الأشياء معك، ولو أننا سنعود في المساء.  
تابعها سفرهما حوالى الساعة السابعة. كان الطريق يصعب بالحركة فالتساءل  
والابتاهت يحتمل على رؤوسهن ألوعية كبيرة مليئة بالماء. لفح وجهها هواء  
بارد من النافذة، فسرت قشعريرة في جسدها.

هل تشعرين البرد؟

نعم، وبدأت باعلاق النافذة. ان ما يدعشتي حقاً كيف يتقلب  
الطقس فجأة أثناء السفر. لم يمض سوى ثمار واحد، ونحن نسير باتجاه  
الشمال. ومع هذا فقد غدا الجو بارداً هنا. وقد خفت الرطوبة أيضاً،  
سحكت جياكلين وهفتت. أينما الصحراء ها أنذا أتية إليك.

كان عليها ان يسافر لمدة يومين آخرين شمالاً كي يصلا الى الصحراء.  
ان مناخ الصحراء يتميز بالحرارة والجفاف. والأيام الحارة المحرقة والليالي  
الباردة المتجمدة، كم تتوق ان تری الصحراء شعها ومديها، وان تشاهد  
الجمال والواحات المليئة بالنخيل، وأشجار البرتقال. لقد سمعت قصصاً  
مشوقة من رفاقها الذين يفتقلوا على السيارات ليستقلوا في الصحراء من غانا  
الى مراكشي.

شعرت جياكلين براحة لامة اذ لم يتكلم ماتيو عن موضوع الليلة الماضية.  
لم تخافها اطراف الاحاديث العامة والبسيطة بسوء. عما امدها بالارتياح  
والطمأنينة. خاصة بعد ان زال معظم التوتر الذي كان سائداً بينها. الا ان  
ذكرى داهية كانت تفتلقها. ولكن يكتمها ما حققت وماتيو من انسجام.  
لم يذكر ماتيو داهية قط، منذ ان غادرت قبل عدة اشهر. ترى هل ما زال  
يحبها وهل ستعود في يوم ما؟

لم تزل تصرفات ماتيو لربك جياكلين على الرغم من شعورها بالارتياح.  
تداعت أفكارها تبعاً. لماذا عانقها اذا كان لا يشم بها؟ ترى هل أوحى لها  
غياضها بذلك. ولكن ترى هل تركت قساستها اثر في نفس ماتيو؟ فكرت  
يحقر لا. يجب ألا أفكر بهذا الموضوع فانه لا يجدي نقراً. تحركت في  
مقعدها، ونظرت الى الخارج.

تبدل منظر الطبيعة بشكل ملحوظ بعد ان غادرا غانا أمس. انخفضت  
الغابات الاستوائية الخضراء في المنطقة الساحلية، وبدأت الاراضي صفراء  
جافة. كما انخفضت الاكواخ الدائرية الشكل والتي تجمعت قرب بعضها  
بعضاً كأية وفقرأ وجفافاً.

وبعد قليل انعطفت السيارة نحو طريق ترابي ضيق. وبعد ان قطعوا  
ببطء كبير، وجهد بالغ عدة اميال اخرى، وصلا الى الساحة حيث وجدوا



السيد مينلا في انتظارهما. حيائهما وقال بلهجة اميركية بعثة:  
- انني مسرور جداً لقدومك يا أخته دونلي.

كان يرتدي ثوباً فضفاضاً. لم يستطع هذا الثوب أن يخفي آثار اميرة  
وكأنها بالذات. قادها الى منزله المكون من مزيج من الطين حيث لم  
لها احوة بمض القهوة. انه دائم... همت جاكلين في اعماقها، وهي  
تنظر الى مينلا. بدا طويلاً وأيضاً ومثيراً في هذا الثوب الذي تعاكس لونه  
مع لون بشرته الاسود. تساءلت فيما لو ان مينلا كان يرتدي هذا الثوب في  
اميركا. وعندما سألتها اجابها قائلاً والسرور يلعب في عينيه:

- كنت ارتديه في فصل الصيف عندما اشعر بالحر. وبالطبع عندما  
اذهب للتحفلات، فليس هناك وسيلة أفضل منه لاثارة الفتيات.  
اجابت جاكلين ولا تزال منهشة من الازدواج الحضاري المزيج  
داخل هذا الشخص الذي يبدو اميركياً بعضاً، لكن نظراته لا تخفي انه  
افريقي أصلاً.

- لا أشك في هذا.

عادوا بعد ذلك الى وسط الساحة حيث كانت القرية بأجمعها تنظرهم  
من فيها: رئيس البلد، والأعيان، وحتى الفرقة الموسيقية المحلية. جلس  
الرئيس وهو نسخة طبق الأصل منكبة للسيد مينلا طويلاً وأيضاً. جلس  
على وسادة موشية فوق منصة قرشت بالجلود، وجلس الأعيان بأثوابهم  
الطويلة فوق درجات المنصة. قدمها مينلا الى الجميع، ثم احتل مكانها.  
جلس ماتيو على مقعد خشبي، بينما جلست جاكلين على اريكة. غمز لها  
ماتيو جازمكت انهم يعملونها معاملة خاصة للترحيب بها. قلولا وجودها  
معه، جلس ماتيو على الأريكة المربعة.

ألقى الرئيس خطاباً بلغته. ترجمه مينلا لهم. كانت جاكلين تلتصق  
النظرات من حولها بالثناء. جلسوا في ظل منزل الرئيس المؤلف من عدة  
ابنية من اللبن بما فيها الابنية التي بدت كأنها مستودعات للقطن. بدت  
القرية قاحلة ومفيرة، وخالية من جميع المزروعات عدا بعض الأشجار.  
أن دور ماتيو في الحديث، فحدثهم عن شركته وطريقة عملها. ترجم

مينلا مرة اخرى حديث ماتيو. راقته جاكلين عن كثب، فلم تسخه من  
قل وهو يتحدث الى جمهور كبير. فشعرت بمزيد من الاعجاب به، لا  
بمنع به من ثقة بالذات. كان متحدثاً بارعاً، يجذب كلماته بجلود ودفقة.  
وكان واضحاً انه اثر اهتمام الحضور كما اثار اهتمامها. كانت تحب ان  
تنظر اليه. بدا طويلاً، متصبب القامة... كان لون قميصه الأبيض ذي  
الكم القصير لا يتناسب مع لون بشرته البرونزي. بدا مطمئناً لخديته  
والموقف جميعه. حتى انه استطاع ان يرمي بعض الطرائف، ويضحك  
المجهر على الرغم من وجود الحواشي اللغوية والحضارية. صغى الحضور  
له كثيراً عندما انتهى حديثه. انتهت اجراءات الاستقبال، وذهب كل لاداء  
واجباته اليومية... كنظر الماء، او صناعة الاواني الفخارية. جلست  
جاكلين وماتيو مع الرئيس والأعيان، يناقشون الاعمال بشكل جلي.  
اخرجت جاكلين دفترها وقلتها، لتدون بعض الملاحظات حول الموضوع.  
ابتدأ السيد مينلا حديثه قائلاً:

- لدينا ألف هكتار. لقد زرعنا القطن لعدة اعوام متتامة. نريد القطن  
بشكل حسن، لأن الأرض لم تعد ملائمة. لهذا تناقشت مع السادة  
الأعيان والمواطنين للبدء بزراعة فول الصويا.

- وكيف كانت ردود فعلهم؟

عقد السيد مينلا ما بين حاجبيه:

- تردوا في البداية. لأن فول الصويا ليس مألوفاً لديهم. ونساء قوا هل  
سيكون طعاماً جديداً؟ واخيراً اقتنعوا بانها فكرة جيدة خاصة لأن القطن لا  
يؤكل، ولم تعد موارده كافية.

تكلم ماتيو قائلاً:

- قلت ان خيرات الأرض استنفدت. ماذا ستفعل من اجل ذلك؟  
تأملت الاسئلة، واخذت جاكلين تلونها بسرعة.

ازدادت حرارة الجو، فتصبب عرق جاكلين، ومسحت يديها فلم  
تستطع ان تكتب. ولمحس حظها لم يداعها الصداق.  
شعر الجميع بالجوع والعطش، وانتهى الاجتماع بعد نصف ساعة.  
دعاهم الرئيس لتناول الطعام في مسكنه. قدموا لها بعض الرطبات

والفقهوة. وعندما انتهى الغداء ذهبوا جميعاً لالتقاء نظرة على الأراضي.  
كانت الشمس حارقة حتى ان الارض بدت لامعة فضيحة. تشوا بين  
الصقوف المزروعة بالقطن الخزيل. تأملت جاكلين من قبعيها. وتبكت  
ملايسها بالمرق.

اتبعت جاكلين جيداً لحديث السيد ميلا عندما تكلم عن خطف  
وبعد ساعة لم تعد تسمع شيئاً. اذ استنفذت حرارة الشمس طاقتها. اما  
ماتيو فلم يتزعج كثيراً من الخراب. مع ان قميصه كان مبتلاً بعرقه. ولكنه لم  
زال يتكلم ويستفهم. ويضي يدون ان يفلح مجهوداً كبيراً فوق الارض  
العطشى.

استغرق التحول ساعة اخرى عادوا بعدها الى منزل السيد ميلا.  
فقدوا المصيص الذي لم يكن بارداً تماماً. وبعد ان استجمعت جاكلين  
قواها. طلبت ان تزور عيادة الليثة.

اجابها ميلا:

- بالكيد. وقد تجاوزت الساعة الرابعة ولا بد ان كارول وكوني  
المريضين موجودتان الآن. اما كورت الطبيب الألماني فذهب الى  
أوغادوغو لبضعة ايام. انه عيوب من الجميع، فهو شاب رائع،  
والمريضات لطيفات. انا محظوظون كثيراً بوجودهم هنا.

كانت العيادة عبارة عن بناء ابيض مبني في ظل شجرة ضخمة عند احد  
اطراف القرية. حيث المرضستان الأمريكيتان جاكلين وماتيو بحرارة،  
ودعتهما بفخر لشاهدة العيادة.

كانت اولاهما تحيلة وطويلة، واثانية قصيرة وبدينة. مما جعل منظرهما  
يثير القسحة. قالت جاكلين في سرها... ان صداقتهما الجميمة تساعداهما  
على تحمل الظروف التي تعيشانها. سألتهم كوني الممرضة البديلة:

- هل تتظنون لتقدم الشاي لكم؟

كان وجهها ملئاً بالشمس، وعيناها الرمديتان تلمعان ببريق من العمل،  
فاجابها ماتيو:

- لا. نشكرك. لا نستطيع. علينا ان نعد لتناول. لا احب قيادة  
السيارة في الظلام على هذه الطرقات.

اردت كارول قائلة:

- لماذا لا تفحصان هذه الليلة هنا؟ لدينا المزيد من الاسرة.

فأردفت كوني وهي تنظر من ماتيو الى جاكلين وبالعكس:

- رجاء. لدينا عتبة دراق من اوغادوغو مفتحة ونحصل بوجودكم.

- دراق كيف لنا ان نرفض؟

صرخت كوني معوية عن قرحها. فتابع ماتيو كلامه قائلاً:

- في الحقيقة انها فكرة حسنة ان تبقى هنا، فإني المزيد من الاصدقاء عن

الشعب.

المرحلتان في بيت ريفي من الالمنت الرحادي، لم يصف أي  
هجة على ما حوله. أدخلت جاكلين وماتيو حقائبهما. نظرت جاكلين  
سورور لما رآته من لوحات كبيرة ملونة على الجدران. غصت الرفوف  
بالتكسب. كما وضعت بعض الالعب السفية كاثوبولي والسكرابل. في  
أحد الروايا. شاهدت جاكلين بعض الادوات الثقوية وكوسياً من الخلف،  
وبعض الوسائد المغطاة بقمش عادي. مما اثنى على الفرقة نحو مرحة.  
بعداً حتى ان جاكلين شعرت وكأنها في منزلها. سألتها جاكلين:

- أين يعيش الدكتور؟

اجابت كارول، وهي توشق باقواء بيت آخر في الممر نفسه الذي يتصل  
بالعيادة:

- في ذلك المنزل. وتابعت حديثها قائلة، يستطيع ماتيو في هذه الليلة ان  
يتكلم في منزل الطبيب كورت. لن يعترض كورت. وتستطيع جاكلين ان  
تنام في الممرير المجاور للممرير. وفجأة اخبر وجهها. واستدركت الامر  
قائلة، اذا كان هذا يتاسكها، والا تستطيعان البتة معاً.

بدا اضطراب كارول واضحاً فقالت جاكلين:

- لا. اشكرك اني عتيقة انه مشيخ.

نظر ماتيو في وجهها وقهرها بعينه:

- اني لا أشيخ. وانت تعرفين هذا جيداً.

جاء جوابه توجساً لجاكلين. فقد اضطرابها ظاهراً. عندئذ تقاعزت

المرحلتان بان لديهما بعض الاعمال. فالتبعت كارول الى المطبخ معهم

بعض الكلمات بأنها تستحضر الشاي.

أما كوتي فاضطرت فتابعت القهوة كي تحضر فتابعت الشاي. حاولت جاكولين جاعلة أن تجد ما تقول ولكن عيلاً. عيسى ماتيو في وجهها بعدة وقال:

- أنت التي دفعتي لذلك. سأحمل الامعة الى غرفة كورت، ثم سأد كوتي، هل اليب مقترح؟ أم لديك المقترح؟  
- إنه مقترح، لنأ لا نقفل أي شيء هنا. لأن المروقة حمرة هنا سواء على الزوار أو المرضى.

وعندما غادر ماتيو الغرفة، قالت كوتي لجاكولين وعينها تضحكان بحيث:

- إن كارول محتشة كثيراً. نحاول أن نتخلص من هذا الاحتشام، ولكنها لا تستطيع، الحقي به قلن بشم أحد لهذا.  
هزت جاكولين رأسها وقالت:

- لا. كان ماتيو نحاول أن يضايقي عمدة. إذ كان يتكلم عن ليلة امسي فقد اضطرونا أن نشارك الغرفة إذ حصل خطأ ما. فقد حجزوا لنا مكاناً واحداً. انني مساعدته الادارية وهذه فترة عمل قاسية. هذه هي الحقيقة سواء صدقتها أم لا.  
قهقهت كوتي:

- انظري الى كارول ونحن نخبرها بما حدث ليلة امسي. سيحمر وجهها شحلاً.

عاد ماتيو وكارول الى الغرفة في اللحظة نفسها فساءلها:

- اليس لديكم من يحمل مكان الطبيب في حال غيابه؟  
اجابته كارول:

- لا، تدبر الامر بانفسنا. اما اذا كان الامر صعباً، فأننا ننقل المريض الى المستشفى في نامل.

شربوا شايًا، واكثروا طيفاً مليئاً من زبد فشق العبد المحضرة مرزياً. فظفر ماتيو الى جاكولين عبر المائدة، وفي عينيها لغة الانتصار. ولكنها ضحكت له معرفة انها لا تأبه للانتصار. ولا تهتم لأنها لا تعيش في

حبرن التاسع عشر، ولا يحيا ايضاً ما قد تظن الفئاتل بها. صبت لنفسها تدماً آخر من الشاي. وسألتهما:

- لا تشعرا بالوحدة هنا؟ فمعظم الناس لا يتكلمون الانكليزية هنا على ما اعتقد.

اجابت كارول:

- بالتأكيد. ولكننا متفهمون مع بعضنا بعضاً هنا وهذا ما يساعدنا كثيراً. إن كورت رائع، واحياناً يأتي بابا الى هنا فتمضي امسيات سعيدة.  
- ومن يكون بابا هذا؟

ضحك ماتيو وقال:

- انه يروي قصصاً مشوقة لا تصدق. وحديثه شيق كثيراً.

ثم اضالت كارول:

- اننا نعرف بعض الاشخاص من البعثة الألمانية في نامل. ونذهب معاً في بعض الاحيان، ونقوم بكثير من المسابقات هنا. بابا يحب لعبة الشوي.

اجابت جاكولين بالمعريتين، وبطريقة معيشية، وجبرهما، وقدرتهما على التحمل. خاصة انها تمارس الطب هناك وليس لديها من الاصوات الا القليل، وهذا ما يؤرق مضجع الاطباء عامة.

وفي صباح اليوم التالي غادر ماتيو وجاكولين القرية عمليتين بالهدايا، اطاران من الارز الاسمر، وديكا جيش يصيحان في مؤخرة السيارة، وثلاث مزيّنات من بيض الدجاج الحبيش.

قالت جاكولين:

- اني اكره ان آخذ هذه الهدايا. اشعر وكأنني اعططهم من افواه الاطفال.

- لا يوجد حل آخر. اذا رفضنا احد هذه الاشياء، فلكأننا نذل اصحابها، ونحقرهم بعنف.

تابع ماتيو وجاكولين مسيرهما داخل القرية جميعاً من نساء واطفال ورجال يتغنون ويلوحون بأيديهم.

صاحت كوتي بأعلى صوتها:

- شارككم في أكرام.

قلت جاكولين ماتيو وهما في طريق العودة:

- لا، استطع يا ماتيو أن أتحيل أنني معرضة في الأدغال، حيث لا يوجد مكاناً آخر أذهب إليه، ولا يوجد أناس أكلهم إلا أولئك المرضى - سأجبر حتماً.

- أنك تحبين خيلتك وولائمك اليس كذلك؟

اجابت بقطب:

- ليست الولائم والمخاضات ما أعجني. أريد أن أخلط الناس. واسمنا يعيش بين مخاض مختلف منهم. اكتشف ماذا عملوا، وماذا انجز هؤلاء؟ وأين كان أولئك؟

- إن تعليقي يعود اعتاد يا جاكوي، هن رأسه ضاحكاً، لماذا يزعج كل ما الآخر دائماً؟

دعينا نتخلص من هذا؟

تعبت جاكولين من قوله ومست في سرها: لقد قال نحن، ولم يقل أنت إذن أنه يشعر أيضاً أنه بعضها بدورة. يبدو أن أشياء صغيرة ستفرد هذا التوتر. إن هذه رحلة غيمة لقد سرت جداً خلالها. وسبقيان معاً حتى ليلاً في فندق تالال. داهمها شحور بالزهر عندما تذكرت تلك الليلة في الفندق متذكراً عناقها. الأفضل لك أن تسي ذلك. فظننت خارجاً كيلا تسرح بأفكارها من جديد.

وصلنا إلى كومانسي وقضينا ليلة في فندق المدينة، وفي صباح اليوم التالي تحولت جاكولين في المدينة مدة ساعتين، بينما ذهب ماتيو ليغضي بعض أعماله. ثم شيا إلى أكرام بعد ظهر ذلك اليوم. وما إن استقرا حتى باشرا بالعمل.

كتب جاكولين تقريراً عن وحلتها إلى الشمال. حرصت أن يكون التقرير جيداً لثلاث جدارتها. أصبح عدم ازعاج ماتيو أمراً عيها. أنه سرور يعملها حتى الآن، لكنه لم يعترف بفعاليتها وجدارتها إلا مرة واحدة.

إنها ليست مضطربة ولا تعلم لماذا، إنها تنوي لموافقة ويخضع في داخلها

تسأل: هل عليها أن تفعل شيئاً آخر له، لا علاقة له بالعمل، شيئاً آخر يفوق توقعها بعملها.

كنت أذكرى ليلة تالال تداهما في أوقات غير مناسبة، تقوم حولها التكررات مرات ومرات حتى أنها تشعر بالضيق أحياناً. لقد حفرها مراراً، وأدعيتها، وأغضبها ولكن عندما احتضنها بدا وكأنه رجل آخر. عطوف، ناعم، وغيب. لقد انغص بها أحاسيس لم تكن تعرفها. لم يعانفها للتسوية. إنها لا تصلق ذلك. ولكن لماذا يتركها فجأة إذا كان يدافع الحب؟ هل نكمن ديانا في أعماقه؟ أم أزال يحبها؟ وإن صح ذلك، فهل يضايقها هذا لا يحصل؟ أجل أنه يؤرقها، ويقض مضجعها. فكنا نشعر بالذل كلما تذكرت أنها تستسلم للمسانة بدون أية مقاومة. إنها ترفض أن يكون تأثيرها عليها عتفاً حتى ولو كان بحاجة إلى ديانا.

وفي صباح أحد الأيام، وبينما كانت تعمل، وجدت ماتيو واقفاً أمامها في مكتبها.

- جاكوي.

نظرت إليه وهي توقف عملها خيبة:

- نعم.

- هل أنت مشغولة جداً؟ أريد أن أحدث اليك. أريد أن أقول لك شيئاً مهماً.

- سأعني عمل خلال دقائق، وأتي إلى مكتبك.

- حسناً.

سمعته يتوقف في صالة الاستقبال ويطلب قهوة لكليهما. ثم اشير بيده قائلاً:

- لا أريد أن يزعجني أحد.

لم نستطع جاكولين أن تخيل ما الشيء. اللهم؟ حتى أنه لا يتعلق بالعمل. لن تقلب الدنيا، ولم تسمح أن أحداً يوقع هذا. كما أن العلاقات الشخصية بينها على ما يرام. وقجأة شعرت أن شيئاً يحطم أعماقها. ... إنها ديانا مستعرة قريباً. يجب أن يكون الأمر كذلك. إن ماتيو سعيد منذ الصباح، وسيخبرها الآن أن ديانا منعودة، وإنها سينزويجان قريباً. لهذا

يجب عليها ان تترك مسكنها ، وان تهد مكاناً آخر تسكن فيه . لم يرق طامد  
التفكير . . فقد أصبحت الشقة مثلاً لها ، ولا تريد تركها . وترفض هذا  
الآباء ، كان عقلها يغلي اضطراباً ، وفجأة شعرت انها مريضة .

## ٦- الشرارة المفقودة

كان ماثيو يجلس الى مكتبه ، عندما دخلت يواكلين غرفته . وضع فتحيالي  
القهوة على المكتب . اعلت أحدهما وجلست . أدركت تماماً انه كان  
يتأملها . سألتها :

- ما بك ؟

- لا شيء . كنت أتساءل ما هي الاخبار الهامة .

- فشجعي . . انها اخبار جيدة .

- لك أم لي ؟

- لنا معاً .

لم يكن مثلاً لها بنم عن ذلك ، ولكن لم يكن لديها سواء . سألتها :

- لماذا تفكرين ؟



هذه كتبها وقالت:

- كنت أحتس أن تكون الأخبار جيدة، وما أوتيت خطأ ما، شيء لا أعرفه. لا أعلم، لا بأس حدثني عن الأخبار العظيمة.

كتب يدي، ودفع كرسى للخلف وقال:

- ما رأيك في ترقية؟

- ترقية في أنا (أجابت متدهشة فقد كان هذا آخر ما توقعته).

- نعم لك، لا تخلمي بالكثير. إنها ترقية صغيرة صغيرة.

بلغت لأجاء. ترقية كم تحب ذلك! ولكن هل يعتبر مائير الترقية أخباراً خاصة. كان شحورها بالراحة يفوق مساحتها. فقد فكرت بأشياء جيدة للغاية.

- ولماذا تعتبر هذه الأخبار سارة لك؟

- لأنك ستسلمين عملاً آخر بعد ترقيةك. أريد أن نتمى بتقويم المراحل الأولى للمشروع، هل تذكرين التقرير الذي كتبت عن زيارتنا لقرية مينلا؟

- بالتأكيد.

- كان تقريراً ممتازاً. إن اسلوبك جيد جداً. فقد تبين أن لديك نظرة ثاقبة وواضحة لتعهم المشاكل والظروف المحيطة بالمشروع، وبدا هذا واضحاً من طريقة عرضك للموضوع، انحنى قليلاً للأمام، ونظر إليها عن كثب، لقد جعلني هذا التقرير أتق بحاكمك للأموال وأريدك من الآن فصاعداً أن تتقدمي جميع متطلبات المشاريع الجديدة. أجيبي على البريد، وقابلي الأشخاص الذين يأتون إلى المكتب لأخذ المعلومات، حرك قهقهة وابسم، تبدين مرتبكة قليلاً.

- أجل! أنت متعززة على تطوير المشاريع.

- ليست المراحل الأولى معقدة. كما أن لديك كشوقاً كافية. وكما قلت لك انني وأنت من بحاكمك للأموال.

- انني... انني سعيدة جداً. ولكن اخبرني ماذا علي أن أفعل؟

- أن الشئ الأول بسيط. تستعينين رسائل من أشخاص يفتنون فيها ثمن محرات الزراعة القدرة في قطعة أرضهم. تكتبين رسالة اعتذار ليفة بأننا

لا نغطي المال، ونعرضين فيها خدمات ميكانيكية وقية فقط. قد تطلبين رسالة تطلب إنشاء معمل للسكر، لمصانع السكر شائعة هذه الأيام. ولكن لا تنهم بهذا وقت مفاتيحنا. إذ إن السكر ليس غذاء مائلاً، فهو يعطي الجسم سعرات حرورية خالية من المواد الغذائية، ولا يفيد الصحة. (لوح يديه وتابع) طبعاً لا نهمي بمثل تلك الرسالة.

أخرج رسالة من ملفه، وقال لها:

- اخبريني أنك تحررين فصحة الآن. إن السيد جونكر يطلب مساعدة لزراعة مكسرات الكاشو، ولديه مؤهلات ممتازة كأراض وبعض المال.

فما رأيك؟

- لا يصلح.

فأجاءها والدهشة في عينيه:

- ولماذا لا يصلح أن الكاشو مصدر للبروتين.

- أعتقد أنه مصدر للبروتين الأجنبية. لأن الكاشو لا يستعمل للاستهلاك المحلي. سيصدرون الأناج، وستجده متصديراً على موائد حفلات في لندن.

- تفكير سليم. فقلت انني سأوقعك في الفصح هذه المرة، (قلب أوراق ملفه مرة أخرى) في كل حال هناك العديد من المشاريع الجديدة كقول الصويا واللوبياء وأطعمة جافة للزئج المقطومين. ادرسي هذه المواضيع، وأخبريني رأيك.

سأله بدورها:

- وماذا أفعل بالمشاريع التي أوافق عليها؟

- هذه هي الخطوة الثانية. نومي ببعض الأبحاث عن الموضوع. انظري إن كان قد جرب أم لا.

أعطاه تفصيلات أخرى، فشعرت جاكين أن موجة من القلق الشوب بالفرح نتابها غيرت حليتها، وكثفت يديا وكأنها تعانق نفسها:

- يبدو أن الأمر يجمع للغاية. ألقى أن أشارك بالأعمال الفعلية للمشاريع.

تأمل وجهها طويلاً. كانت نظراته دافئة وعزوجة بشيء لم نستطع

الرمال المبللة بإبرة تحت أقدامها العارية.

عَيمَ الصمت لبرهة، قمتُها ومما يتصان إلى الأصوات الصادرة عن البحر. كان الشاطئ، عادةً، وحالياً من الناس. أُصِيت جاكليين الوحشة، ونفرت لعدم ظهور الجماهير، والحر، والفسحة وهم المعالم الرئيسية للحياة في أكر. ورجاءً قطع ديفيد أديم الصنفت وقال:

- لنجلس ...

رمى نفسه على الرمال وجذبها إليه. دأب نسيم لطيف وجتتها ورفع ديفيد محصلة من شعرها خلف أذنها.

- إن شعرك يندلّ بنعومة، فلماذا لا تركبته يتدلى على أكتافك؟

امتزج صوته بنبرة غريبة. شعرت جاكليين بأحاسيس غريبة لم تستطع تحديده.

- ديفيد!

- لا تتكلمي.

أحاطها بيديه وعانقها.

- لا يا ديفيد. رجاء.

ممس بأذنها:

- انني أريدك يا جاكلي.

تصلب جسمها، وقالت متوسلة:

- أرجوك يا ديفيد ... لا ...

- ما الأمر؟

- لا أستطيع ... أنني لا أستطيع.

ابتعدت عنه، وهي تلعب بأحزانه، وكادت دموعها أن تنهمر. لا أنها لا تريد هذا! ولم تطلب ذلك! قال لها بصوت متروك وهادئ:

- تعالي هنا يا جاكلي ... لماذا هذا الحزن؟

غطت وجهها بيديها وغالت:

- أني أسة يا ديفيد. لا أريد أن تكون جاداً في طلبتي. أني لا أريد أن

أزعجك.

فقال بلهجة قاطعة:

تفسيره. لقد شاهدت تلك النظرات من قبل في تلك الليلة في دابل. تدافعت الذكريات أمامها سريعة، وبوضوح متلو بالخطر. شعرت برقة عازمة يعتاقه مرة أخرى، نظرت إليه، وأبقت بجنتون أنه يفكر أيضاً بمناقها وشكك اللحظة. خفق قلبها. التفت نظراتها لمدة طويلة، ثم نظرت إلى الأوراق التي على مكتبه وقال:

- الخطوة الثالثة هي ...

تابع كلامه بصوت هادئ وغير متقطع. استجبت جاكليين قواها وركزت ذهنها على حديثه. عادت بعد لحظات إلى غرفتها وشعرت بموجة من السرور والفرح. إن عملها الجليد يدل على أن ماتيوس أصبح واقفاً، ولهذا عهد إليها بمسؤوليات جديدة. وهذا ما يسمها كثيراً. ولكنها تريد شيئاً آخر أدركته في تلك اللحظة. عندما نظر إليها نظرة غريبة لأخت في عينه.

جلست جاكليين إلى مكتبها، ووضعت وجهها بين يديها. لا تفعل هذا بنفسك حسرت في أعناقها. لا تفعل من الحجة قبة. لا تتخيلي شيئاً لم يكن. وبعد أن استطاعت أن تبعد كل الأفكار الأخرى عن ذهنها، أخذت تركز اهتمامها على عملها. وفي مساء ذلك اليوم، رن جرس الهاتف وما أن رفعت السماعة حتى سمعت صوت ديفيد عبر الأسلاك، لم تشاهده بعد عودتها من المشغل فقد كان في واشنطن:

- ألو ديفيد!

- كيف حالك يا جاكلي؟ ما رأيك أن نتناول العشاء معاً الليلة؟

- أثنى من أعمامي. وسأدفع الحساب. إذ نلت اليوم ترقية.

- وكيف حصل هذا؟ إن هذا كثير بالنسبة لفئة مدربة لا تراخى ملأه الجدة.

ضحكت جاكليين قائلة:

- سأخبرك المزيد.

كانت الوجبة ثلاثة في مطعم شاطلي. التخلل، وبعد العشاء تمسها فوق رمال الشاطئ. يجملان أحفونها بأيديهما، يتكلمان ويقسمكان. كانت

.. انك لا تحبني يا جاكى!

.. ليس الأمر كذلك.

.. تعلى هنا يا جاكى، امسك بيديا، دعينا نتكلم عن هذا الموضوع اقرب من هنا، فوضع يده على كتفيها برفق وقال:

.. النقطة الأولى: انك مديني يا جاكى. وأحب ان أكون معك. اننا نستمتع بأوقافنا وأحاديثنا معاً، انك تستمعين بالعقل والاحساس كأي انسان آخر. النقطة الثانية: وبالإضافة الى انك انسا، فانك امرأة بكل معنى الكلمة. توقف عن الكلام ونظر اليها، كما اني شاب طيب كأي الشابان. وسيكون الأمر شاقاً إذا لم أرغب ان يحدث شيء ما بيننا.

هز رأسه وهو يتشم لها. كانت عيناه متدهشتين عما أصرها انها فاة صغيرة وسخيفة.

.. هل تسخر مني يا ديفيد؟

.. ما زلت صغيرة... صغيرة، لا تغلفي هذا الشأن، ولا تفكر في به كثيراً. مستحضر مشاعرك ذات يوم، وعندها ستدركين ما تجهلينه الآن. فقط حذاه وهزه ليزيل الرمل عنه وقال:

.. سأبقى صديقك في الوقت الحاضر ان كنت ترعين بذلك لأتبع بصحبتك المشاة: وسأكتب غواظي.

دلت صديقتها الصادرة من أحضانها عن زوال قلقها وقالت:

.. انك يا ديفيد صديق بكل ما في الكلمة من معنى.

انه لا يريد ان يسه اليها، ولكنها لم تستطع ان تتخلص من الشعور بالذنب، لأنها رفضته، وانما لأنها لا تكن له الا عاطفة الصداقة الأخوية. وشعورها بذلك واضح، عادة الى السيادة، ونعشا بالرمال، وبدأت تتساءل ترى: هل أحبها ديفيد؟ لم يشر الى حبه لها. وكانت تعتقد ان عاطفة الصداقة بينها متبادلة لماذا لا يكون الأمر بهذه البساطة؟

وعندما عادت الى المنزل. لم تر سيارة ماتيوا في مكانها المعتاد. فعلمت انه ذهب الى النادي حيث يقضي معظم أوقاات فراغه يسبح، أو يمارس إحدى هواياته الرياضية.

دخلت الى المنزل واستعدت للزوم. كانت بعض حبات الرمال مازالت عالقة على ملابسها، وشعرها وحتى على جلدها. لمن تتخلص منه الا اذا استحمت. تداعت الامكنة في ذهنها تباعاً، فلم تستطع ان تنام. كانت تفكر بديفيد وماتيوا معاً. ليثها تحب ديفيد... لماذا لا تحبه؟ انه لطيف، وصديق مخلص، ولكن للأسف لم يحرك مشاعرها الدفينة. لكن ماتيوا انقلب مشاعرها ولا تستطيع انكار ذلك. ترى هل كان انسجامها انسجاماً ليزياها ام طبيعة كيميائية صحيحة؟ ام ان غواظها تحركت؟ ترى هل هذا ما يسمونه الحب؟

نابت على طبقها تضغط وجهها بالرسابة. كان رأسها ينقلب كالصخر، وعيناها تزلزلهما. الحب... ما هو الحب؟ هل شعرت في يوم من الأيام؟ لم تشعر حاكليين بحسن، الصداق ما زالت يرعجها، فنهضت من سريره لتأخذ بعض الأسبرين. لم تجد أية حبة. فقد نسيت أين وضعت الزجاجية عندما استعملتها آخر مرة. قد تجد بعضها في حمام ماتيوا. لكنها لا تحب. ان تتجسس على مكانه الخاص. الا انها بحاجة ماسة لبعض الأسبرين، والا لن تنام الليلة من شدة الصداع.

ذهبت الى حمامه، فلم تجد شيئاً من الأسبرين الا في علبة الأدوية ولا في مكان آخر من الحمام. ان هذا مضحك. وبينما كانت تقف في الرواق سمعت صوت الباب الامامي يفتح. دخلت غرفة الجوارح في اللحظة نفسها التي دخل ماتيوا الغرفة، مرتدباً بنظاً قصيراً، مع قميص أبيض حاملاً مضروب الكرة. ارتجكت جاكين كثيراً، ونظرت اليه بقلق وقالت:

.. كنت... كنت أبحث عن حيوب الأسبرين، ولم أجد أي منها. نزل شعرا على عينيها قرعته بعصية الى الخلف.

.. بحثت في حمامك ولم أجد شيئاً. أمل ألا أكون قد أزعجتك.

.. اني لا أحفظ بالاسرار في حمامي. واعتقد ان الأسبرين في المطبخ. لقد أخذت منه أمس وتركته هناك. اجلسي سأحضرك لك.

سمعت صوت السلاجة يفتح. فعلمت ان ماتيوا يذهب لها كأساً من الماء المتلج. عاد الى الغرفة وناولها جيتين منه وقاس الماء.

هزت رأسها موافقة. وبلغت الأسبرين مع الماء. لم تبعد نظراتها عنه. ان بدا جليلاً في ملابس الرياضة. بدا شعره أشعث، فانتابتها موجة جنون عارمة ان تغفل أصابعها في هذا الشعر الكثيف. التفت عتاء نظراتها. وقال:

- هل هناك شيء آخر؟ وضع يده على جبينها. فارتعشت فجأة. عقد ما بين حاجبيه - هل تأخذين الدواء المضاد للحمالين؟

- نعم. طبعاً.

- هل حزامك مرتفعة؟

- لا لذي صداع فقط.

أثار اهتمامه بها اضطرابها. ضحك ضحكة هزيلة وقال:

- أريد أن أتأكد فاني لا أستطيع احتمال مرض مساعدتي الإدارية؟ كملين.

أزعجها تعليقه لشره. اذا كان مقدراً لها ان ترضى. فسيحصل هذا كملام أي. قد يستطيع المكتب ان يمارس أعماله لمدة أيام بدون حضورها اذا كان هذا ممكناً. غففت وهي تشد ثوبها حول نفسها. وضعت شعرها خلف كفتها وقالت:

- يحسن بي أن أذهب للنوم. أشكرك من أجل الأسبرين.

شعرت بارتياح في صباح اليوم التالي. وعندما دخلت غرفة الجلوس لتناول وجبة الإفطار. وجدت ماثيو يقرأ جريدة الصباح. رفع رأسه وقال:

- صباح الخير. ماذا جرت الصداع؟

- لقد زال. أشكرك.

ذهبت جاكلين لتحضّر شيئاً من القهوة. فحيث كويسي الذي كان يقبل بيضاء. ويحضر الحيز. كان الطقس غائماً منذراً بالمطر. أدارت مفتاح القفلة قائلة:

- إن المطيح عظيم.

أجابها كويسي:

- أجل متعطّل الأمطار.

الطقس الصباح بسرعة. وانتهت التقارير المالية الشهرية في موعدنا المحدد لأن الطريقة التي اتبعناها كانت فعالة.

وبعد الغذاء بدأت قراءة تقرير عن مزارع الماعز. عندما هبت رياح عاصفة من الغائلة المفتوحة. فبعثت جميع الأوراق على الأرض. ثم صفع باب وقلاه الآخر. أغلقت النافذة. ووقفت صاعدة لدة. وهي تكامل أشجار جوز الهند المتمايلة مع الهواء. كان الهواء ممدداً بالعاصفة حيث كان يشد في كل ثانية. حل الظلام على الغرفة. فاضطرت ان تدير مفتاح الضوء. مستفحة الغيوم سريعاً. ويهطل الأمطار. رحبت جاكلين بهذا التغير الجوي فهي تحب الأمطار. ورائحة الأرض المبللة ببياء المطر. وخيف الأشجار الندية.

وبعد ان جمعت أوراقها. جلست لتسقيها من جديد. قرعت بيئس الباب. وأدخلت لها فنجاناً من القهوة. كان الفجان يقع فوق صحت مما يدل على أن الفتاة ترتجف. سألتها جاكلين:

- هل تخافين المطر يا بيئس؟

- لا... لا... لا أعلم ماذا جرى لتسديد ميمونز.

سألتها جاكلين:

- ماذا حدث؟ ماذا تفصدين؟

قالت بيئس:

- سلمته برعده منذ لحظات. وبدا سعيداً. وطلب فنجان قهوة. وعندما أحضرته إليه. حملت عيناها وبظنرات قلقة تابعت. لم يكن على ما يرام يا أخته دوتلي.

هرعت جاكلين الى الباب قبل ان تفكر ماذا ستفعل؟ قرعت بلفظ باب مكتبه الذي كان مفتوحاً قليلاً ودخلت. لم ينظر إليها. وعالما منظر ماثيو مرمياً على الكرسي. وكأنه بالون متلاش. وعندما حاولت ان تقترب منه. شعرت كأن ساقها من الطماط يتحركان ببطء. وسألته:

- هل من شيء يا ماثيو؟

كان يميل في بعض الأوراق التي أمامه. نظر إليها بدهش. ووجه

ومادي وعينين مختلفتين بإحساس مهم ودائن. أجابها:

- لن يكون أي خطأ بعد الآن. لقد توضح كل شيء. أصبح الأمر واضحاً تماماً.

جفلت جاكلين لدى سماع صوته الخزين. راقبته وهو يجمع أوراقه، ويضعها في حقيبته، ثم دفع كرسية إلى الخلف بعصبية ونهض.  
- عفواً! اعتذري.

ونخطأها إلى الباب ويخرج. تسمرت في مكانها. هل حدث مكروه له؟ لم تعرف كيف تتصرف. سمعت صوت سيارته ينطلق فوق الطريق المروثة بالخص. هطل المطر بعد لحظة. قشعرت بشعريرة في جسدها، وفلكنها إحساس بالخوف لا فكرة لديها عما تكلم أو أين ذهب. عادت إلى أوراقها. فوجدت قهورتها دافئة. دخلت بيئش الغرفة وعلى وجهها تعبير مروع ومألها:

- هل هو بخير؟

فأجابها جاكلين:

- لا أعلم يا بيئش، أعتقد أنه ذهب لمنزله لاسيما أن الطقس ردي للغاية.

استمر المطر يهطل وقد اشاعت الرطوبة السوداء في الجو كآبة وذبولاً. شعرت جاكلين بالاضطراب والعصبية، فلم تتجز شيئاً من عملها طوال فترة بعد الظهر. وعندما أشارت الساعة إلى الخامسة مساءً، ولم ينقطع المطر، فلدت جاكلين بيئش وسامسون إلى منازلها كيلا يتبشلا بالمطر، وهما يتظران الباص. كان المنزل مهجوراً عندما عادت إليه، فقد كان كويسي يستمتع بمطلة الاسبوعية، وماتيو خارج المنزل. أين ذهب يا ترى في هذا الطقس الرديء جداً؟ لماذا تقلق عليه وهو قادر على الاهتمام بنفسه؟ أعدت وجبة مما كان في الثلاجة. وعندما أشارت الساعة السابعة مساءً، ولم يأت تساءلت أن كان عليها أن تنظره. وبعد لحظات اشد عطول المطر وأصبح المنزل كثيباً وموحشاً. اعتزتها هواجس مختلفة، أخذت تتزايد ساحة بعد أخرى. شيء ما قد حدث له؟ حادث سيارة مثلاً؟ يجب أن تغير أحداً بذلك. من؟ ديفيد.

وعندما سمعت صوت ديفيد يجيب على الحائف قالت:

- انني مسرورة لأنك بالمنزل.

- لماذا؟ هل حدث مكروه ما؟

أجابته بقليل:

- أجل أنه يتعلق بتاتير. فقد ذهب ولم يعد ولا أعلم أين هو؟

أجبرته عما حدث ولكن ديفيد ضحك وأجابها:

- ثلدين يا جاكلين كزوجة قلقة. استرخي. يستطيع الاهتمام بنفسه.

- حاولت... حاولت دون جدوى. لا أعلم لماذا... كانت حالته

سيئة جداً عندما غادر المكتب.

ساد الصمت فترة طويلة ثم أن صوت ديفيد:

- حسناً يا جاكلي ما يحدث عنه.

- أه، ديفيد أشكرك.

وأخيراً توقف هطول المطر، فداهمت المنطقة جامعير غفيرة من اللباب.

حشرات غريبة تشبه الفراشات اللجنحة تظهر على النوافذ

وما إن تجاوزت الساعة الحادية عشر ليلاً حتى رن جرس الحائط:

- هل كنت في الفراش؟ (سألها ديفيد).

أجابته بصوت متقطع:

- لا.

- لم أعتقد ذلك، أنه في طريقه إلى المنزل. سيحصل حالاً.

تفست الصعداء ومألها:

- أين كان يا ترى؟

- لا أدري أين أمضى فترة بعد الظهر. ولكنه أن إلى هنا بعد أن أغلقت

الحط مباشرة يا جاكلي. جالس عندي طوال السهرة، يتناول بعض

المربطات، فلم أستطع أن أشارك، لأنه كان إلى جانبي.

- معك حتى يا ديفيد. اني أفكر الموقف... هل أكثر من تناول

المربطات؟

- لا... لا... فليلا. لقد أجبرته ألا يقود سيارته بنفسه وأرسلت كوفي

معه وسيعود بسيارة أجرة.

- كوفي، الحشرف، على منزلك اليس، فذلك؟ معذرة فقد نسيت هذا، لاني  
لا أستطيع جمع شتات أفكارى هذه الليلة.  
فأجابها ساخراً:

- لقد وجدت النعجة الضالة، بإمكانك ان تنامي الليلة.  
سمعت صرير البوابة، ثم صوت الصجالات على الطريق الممرشة  
بالحصي.

- انه هنا، لقد وصل. من الأسهل ان ينهي المكافأة.  
فقال دقيقتاً:

- اطلبني عندما تريدن. اتفقنا.

- نعم سأفعل. أشكرك جداً.

نظر قلبها بين أصابعها. عندما راقبت ماتييو وهو يدخل من الباب، بدا  
وجهه رمادياً وشبهكاً، ونظراته مبهمة ودائكة. قال:

- هل التفتيت الله يكن في أسرتهن في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

- لم استطع النوم، فهذه الضفادع اللعينة تصدر أصواتاً مرعبة للضباب.

انهار فوق المقعد الوثير:

- تعالي يا جاكى، واجلسي الى جانبي. يجب ان نتكلم، لم نتكلم أبداً  
معاً. اننا دائماً نتخاصم.

وقد عليه:

- لم نتخاصم منذ عدة أسابيع. لقد أوقفنا العداء. كنت في طريقى الى

المطبخ كي اصنع قهوة، هل تريد فتجانيلاً؟

نظر إليها بجلل وقال:

- أجل.

حضت جاكلين الى المطبخ، وهي ترتجف كالورقة. انه جنون. تعففت  
الفتاحين في يدها ووقعت المعلقة أرضاً.

قال ماتييو وهو يأخذ فتجانيلاً:

- ان ديفيد شاب من الطبقة الأرستقراطية. انك عظومة يا جاكى.

حضت شفتها لتكبح غضبها وقالت:

- ان ديفيد صديق أودود. عرفته منذ زمن مضى.

لباب فون ان يقضخ عما يريد.

- العداقة القديمة شيء جيد.

لم تستعدها الكلمات. لمجست أمامه ترشف قهقهتها. بدا كل شيء من  
حولها ساكناً لبرهة لولا نفث الضفادع المستمر في الخارج. كان ماتييو  
يتفرد بأفكاره يتناولها في سره وهو يحمق بفتجان قهقهته. أحاطت  
جاكلين فتجانها بأصابعها القوية. وهي تشعر بالأحباط. ليت لديها ما  
تقول، ليتها تعلم كيف تستمق هذا الجمود. وتصل الى أحصائه، لتساعدته  
لوتقل أي شيء من أجله. ولكن ليست لديها أية فكرة عما اعتراه. ولجأ  
نفس من مكانه قائلاً:

- أريد ان أريك شيئاً، تعالي.

جذبها من يدها وفادها الى غرفة تومة التي لم تدخلها حتى ذلك الوقت.  
كانت متسعة، ولها أرضية خشبية كالقاي انحاء المنزل. وضع السيرير الكبير  
لنظي بالتماس المثلون، الباهظ الثمن في احد اطراف الغرفة. مشى ماتييو  
الى عزلة صغيرة وأخرج شيئاً من الدرج فاولها بإله قائلاً:

- من هذه يا ترى؟

كانت صورة لفنانة تقف على الشاطئ، امام اشجار جوز اخدت في ثوب  
السباحة الأسود جميلة وطويلة جداً، لها اطراف نحيلة. وكثل من الشعر  
الامر تدل على كضيقها بشكل قاتل كثيفة. شعرت جاكلين بجفاف في  
حنجرتها وبلعت لعابها وقالت:

- انها... انها... انها عظيمتك.

بدت ضحكتة قصيرة ومزيرة:

- عظيمية؟ هذا ما عنته؟ بل هذا ما قلته للجميع.

- لا أنهم ما تعبه يا ماتييو.

أل صوته غريباً ومنخفضاً وكأنها تهمس ذلك لنفسها. أجابها بضحكة  
مريرة:

- لم تفكر أبداً ان تتزوجتي. كذا تعلمين... لم تفكر أبداً.

وضحك ثانية بصوت بارد وحزين. ثلثت لو انه توقف عن الضحك فقد  
أشها المرأة الصاعدة من أحصائه. مشى ماتييو الى السيرير، وتجاوز عليه،



وهو يخلق جلداه. قال وهو يخلق بالسيف بجموده:  
- لم تقرر أبداً ان تزوجني.

## ٧ - غيلاً عالمها

تأملت جاكولين الصورة بدقة ، ثم وضعتها على الخزنة الصغيرة ،  
محاولة أن تجد ما تقول . كان ماثيو مضطجعا على سريره يراقبها ، ناداما  
ساجداً .

- تعالي الى هنا يا جاكوي . لا تقفي هكذا .  
لم تستطع تحريك قدميها ، ولم تستطع أن تنظر اليه . بدا كشخص  
غريب الآن . هلكتها شعور غريب لم تستطع إفراسته ، ترى هل هو  
الغضب ؟ ام الأسف ؟ ام الحزن ؟ لم تكن متأكدة من ذلك . لاحظ ماثيو  
زودها ، فربت يده على القرائش وقاله :

- تعالي اجلسي هنا . . . لا تخشي شيئاً .  
جلست على حافة السرير ترتجف برذاً ، يفاء صوت ماثيو قاطعاً حبل

« كانت داينا عارضة أزياء . هل علمت هذا ؟ »

اجابته بصوت هامس وكأنها لا تريد التحدث عنها ، ولا الاستماع إلى رأيها فيها :

- نعم .

- كانت جميلة ، وناجحة جداً . تعرفت عليها في كينيا . هل زرتها ؟

- لا .

تمت أن يهي الحديث عنها . أراحت أن تنهض ، وتضي لشأها . ولكن شيئاً ما كان يشدها إلى غرفته وكأنها لاصقة بالسريو .

- ذهبت داينا إلى كينيا في رحلة عمل ، حيث كانت تقوم بعرض ملصقات من ملابس الصيف الجديدة . أرادوا أن يصوروها في بلاد مشرقية حيث تتجول القيلة والأسود في تخلفيات المشهد

لم تنفخ جاكولين بكلمة ، ولم يكن لديها ما تقول ، بل كانت تحس بعصية قماش غطاء السريو الملون المثلث باليد ، وعيناها مأخوذة تارة بالرائحة الزاهية البرتقالي والأزرق والأخضر . جنبها صوت ماثيو يقول :

- طبعاً لم أدرك أن أفكارني تختلف عن أفكارها في ذلك الوقت . كنت أحب ذلك الشعر الأحمر ولم أر مراحها ، ضحكك بمرارة وتابع ، أما هي فقد وقعت في غرام سيارتي اللاندروفر . كانت لديها أفكار جنونية تتعلق بنمط مجيشي . طأ منها أنني أحد الصيادين المتألقين البيض .

هست جاكولين في سرعها ألا يدرك وبسهولة أنه يشبه كأحد الصيادين البيض بجسمه القوي المحروق بأشعة الشمس ، وبرجعه للربع العصارم وعينه السوداوين اللتين تمكثان مسحة من الغرور والتعالي . لم ينض إلا أن يرتدي ثياب الصيادين ، ويركب ميارته اللاندروفر حتى يقدو المشهد عندئذ حقيقة . لكن جاكولين متأكدة أن عمله في كينيا يتطلب منه كل أوقاته بمزيد من الجهد والعناء فأن له الفرصة المناسبة ليجاروس هوية الصيد لم تدرك داينا هذا يا ترى ؟

وضيعة تابع ماثيو :

- لم يكن الأمر ميثاً في البداية فليروبي مدينة زاخرة بكل متطلبات

الحياة . استطاعت داينا أن تقوم بأشياء كثيرة دون ملل . ثم أتت إلى هنا . على تستطيعين تحمل قفاز مثنها في هذا المكان ؟ تصوري أنها لم تجد أحمر الشفاه المناسب ، فكرحت المدينة هنا وكرهنتي لأنني لم أحقق لها أملاً . كانت تنسني إلى مجتمع نيويورك بكامل تدفقه الحضاري . حرك رأسه ، ولم ينظر إلى جاكولين ، وكأنه قد نسي وجودها على الإطلاق ، أما هنا فلا شيء ينجي إليها . وقفاة ضحكك بيروء وتابع بصوت ينم عن احتقار لنفسه : أردت أن أتزوجها . . . قفاة بتلك الأوصاف . كم كنت مفتلاً . قالت أنها لا تؤمن بالزواج وخاصة الزواج التقليدي المرتبط بالظهور القديمة من عقد وتسجيل وغير ذلك . ثم قالت أنني رجل تقليدي وأنظر هكذا للحياة . وكالمغفلين أتممت نفسي أنها سبيل وأنها تعرفه التي ، ملحق بجاكولين وسأها ، تري هل تقبلون أنت الزواج مني ؟

خفق قلبها بشدة وقالت :

- ماثيو . . . أنا . . . أنا . . .

فقاطعها قائلاً :

- إن أشياء كثيرة تلاصقك هنا أكثر من داينا . أنت تحبين هذا المكان ولا تخافين من الزواج . تأكلين الطعام ، ولا تصرون حزمرة لعدم توفر بعض الأشياء . ولا تفتخرين من نقص الخدم ، ولا تشكين المثل . ضحكك بطرف فيه ، وكديك كتاب السحر يعلمك كيف تصنعين مثلاً للجلج وتحمين بعملك . ملحق بالسقف وأضاف ، لم تهم داينا يوماً بعمل . بل كانت تسخر مني وتطلق علي اسم : ماثيو منقذ العالم .

كانت عينا جاكولين متملطين بشأها وجهه إلى جانب فيه ، وشفتيه المبرزين عن يأس مريع ، فاعتراها حزن عميق مؤلم ، ونظرت في أوجاهة الغرفة تضخضها ، وأكبتها بالحقيقة لم تر شيئاً . التزم ماثيو الصمت ، وعندما نظرت إليه ثانية كان مطلق الأجناف . فظنت أنه نائم ، وعندما حاولت أن تنهض ، أمسك بيدها وسحبها إلى جانبه . أحاطها بلواعيه ، وتلمصت كلماته وهو تصفب نائم وقال :

- لا تدعني يا جاكوي رجاء ابقني صبي .

كان رأسها يدور ، والدماغ تغلي في عروقها حتى سمعتها بأذنها ، وغدا

صوتها أعل من نقيق الضفادع في الخارج . كانت غشش شخصاته ، وثيرة  
اعترها رغبة جائعة في أن تلتصق وجهها بوجهه ، وأن تبقى معه حتى  
الصباح . أحفها هذا الشعور ، فادبرت وجهها إلى الجانب الآخر .  
لا شك أنني مجنونة . . . لا شك أنني فقدت عقلي . وعندما نام نوباً  
عميقاً مسترخياً . . . ترك يدها ، فانسجبت في هدوء ، وعادت إلى  
غرفتها .  
كان الصباح برافاً ومعتاً وحاراً كثيراً . ان ماتيو لثانول الأسطار كملته  
وأتقاً من نفسه وأردف :  
- يجب أن اعتدو عما يدور مني بالأمس يا جاكولين . فلم يكن من عاين أن  
أفقد توازني لأي سبب .  
اجابته بهدوء :  
- أعلم هذا .  
تأملها لبرهة بعينين باردتين وأردف :  
- أي وثائق تلك تعللين ذلك .  
لم يكتب بهذا القدر من الاعتدال اللطيف بل تابع حديثه :  
- أسف كنت مزعجاً أمس .  
زدت جاكولين :  
- لم تكن غير متزن ، ولم تكن مزعجاً . ولكن مرأ عليك تغيير بسيط .  
- لست وأتقاً بما حدثتك أمس . ولكنني مستعد أن أسرد لك الحقائق  
الآن .  
عصت جاكولين شفها ونظرت إلى طبقها وقالت :  
- لا أريدك . لا تفعل . لست مضطراً أن تشرح لي شيء . . . انس  
ما حدث .  
شعر ماتيو بانضطرابها . . . ولأح شيخ ابتسامة على فمه وهو ينظر  
إليها . ثم أردف :  
- هل كان ما قلته شيئاً للغاية ؟  
- لا على الإطلاق . . . ولكن . . .  
- إذن . . . ما الأمر ؟

فكوت لحظة كيف تترجم شعورها إلى كلمات ؟ قد تكون الصراحة  
لحظة أسحق وأفضل طريقة للتعبير فقالت :  
- طابت مني أن أبقي في غرفتك ، وحديثي عن أشياء لا تخصني ، كنت  
مبتدئاً في سرد الأخبار ، فلم أوفق في أن أجعلك تلتزم الصمت .  
- حسناً . شرب قهوته وقال : ليسط الأمور إذك لقد أخبرتك أنني  
جسعت دانيانا في كينيا قبل قسومي إلى هنا بوقت قصير ، وأودت أن  
زوجها . كان لديها اتجاه آخر . عاشت معي لفترة ، ولكنها لم تحصل  
على شيء هنا . لهذا سافرت . لقد استلعت منها بالأمس رسالة ، تخبرني أنها  
في نمرود . وإن علاقتنا قد انتهت . لقد انتقلت في معرض رسائلها طريقة  
ميتي وأفكاري . لا بل لم تنقد فقط بل شرحت ما عندها عما أفقدني  
توازني . لا أعلم لماذا استلمت هكذا مع أن الأمر متوقع . وأنه لمن الغباء أن  
أثر بهذا الشكل فهي لا تستحق ذلك . وما أنذا اعتلر منك .  
ان صوته بارداً وحادثاً وكأنه يروي قصة لا تمت إليه بصلة . نظرت  
جاكولين إليه ، بعينين حاثرتين . إذ كانت الأفكار تتلاطم في رأسها ، بينما  
شرب ماتيو آخر نقطة من قهوته ونهض قائلاً :  
- لنذهب إلى المكتبة .  
انصرف الأسبوح الذي تلا هذا الحديث كما أقبل ، بدون أن يجلب معه  
إلا الأسطار والرقوبة .  
لم يعد ماتيو يشير إلى تلك الليلة التي تكلم فيها عن دانيانا . وأفضى  
محدثه بما يجول في نفسه . لكن جاكولين لم تستطع أن تطرد من غيظها  
الحيلة التي كانت دانيانا تنهت بها : ماتيو منقذ العالم .  
وجدت جاكولين هذه الكلمات قاسية جداً ، لأنها لمست من خلال  
اعتكائها الخواصل بتأثيراتها لا تنطبق عليه . فهو لا يعمل من أجل  
الشهرة ، ولا لجمع المال ولا يعتقد أن الله مسخره لانقاذ البشرية في  
الريضا . إن مطالبته لا تتعارض مع المنطق السليم ، أو حقيقة العالم  
الإنساني . كان مقتنعاً في أعماقه ببدا المساواة ، وأن يتاح للجميع اقتراض  
المساواة لتحقيق كيان محترم . لقد مسخرت دانيانا من مبادئه ، وأخطأت في  
لوجهه ، لذا تعته بتلك الصفات . ما الذي دللها إلى ذلك ؟ رغبها في

أبلاهما ؟ أم غيرهما ؟ لم نفهمه جيداً ، لأنها لم تكشف أهمية العمل بالنسبة إليه . ولم نستطع أن نتشارك هذا الشعور بل سخرت منه . فحينها كدراجه أزياء لم تؤمنها أن نفهم ماتيو . في إحدى الأمسيات ، تناول جاكولين كتاباً نقرأه ، لكنها لم نستطع فهم ما قرأت فقد كان السؤال نفسه يحول في خاطرهما :

هل يجب ماتيو علينا قهراً ؟ طبعاً أنه يجبها . كانت ترفض بهصار أحياناً هذا الواقع مصفوعة بغيرة حبيبة ، هل ما زال يجب دايانا مع كل هذه الاختلافات بينها ؟ لم تشأ أن تسأل نفسها هذا السؤال ، ولكنه كان جاثليقاً حياتها منذ زمن طويل ، وإذا كان لا يجبها ؟ فلماذا اسماها من وسائلها الأخيرة ؟ واغتنف مساعدات ليعود مضيقاً ومهتماً وحائراً . لقد تكلم عنها تلك الليلة . لكنه لم يسرد صفاتها . ولم ينزل بها .

اقترب عيد ميلاد جاكولين الواقع في الواحد من شهر آب ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى ، فبدأت تشعر بالأشياء ، لأنها تريد تناول العشاء في مكان ما خارج المنزل ، لكنها لا تستطيع إخبار ديفيد بذلك اليوم إذ مضطرها أن يشترى غداً عديداً وهذا ما لا تريد . اضطرت جاكولين وبدأت تقع نفسها بأن عليها أن تتصرف بحكمة ، وليس كطفلة صغيرة في الرابعة من عمرها يرضيها فالب كانتو وبعض الضموم . أن يوم عيدها . ولم يحصل معها شيء يذكر . شعرت بالوحدة والألم لأنها متبوعة ومنسية . حتى أنها لم تسلم نعمة من والدتها . قد نأى غداً . كانت تعد نفسها يوم غد . سيطر عليها حزن عميق ، ولم تستطع أن تفهم ضحكاتها متفينة ولا طرائفها المتعلقة بالتمتع الشارطة . لا شيء استطاع أن يخلصها من رثاء ذاتها . كانت الساعة تشير إلى الخامسة عندما أحضرت بيثني مذكرة من ماتيو كتبه على المذكرة : هل من مشاريع الليلة ؟

خلقت جاكولين بالأحرف المنشورة على الورقة . هل عرف ماتيو أن اليوم هو عيدها . لماذا لم يذكرها لها ، ولم يشتر إليه من قبل . رفعت كتابها . لا أنه لا يعلم ، والأرجح أنه يظنر إذا كان بإمكانها أن تعطي مساعدات إضافية في المكتب . أو أنها سيذكر مكان مشروعة مفيداً هذه الليلة معاً في المنزل ، كالمرتين الناضجين . لا بأس . . . لن يؤثر هذا في شيء حتى ولو

عادت ليلة عيد ميلادها . لاحظت أن بيثني ما زالت تقف أمام مكتبها وبسرعة دونت « لا . . . ليس لدي أي ارتباط » . ثم أعطت بيثني الورقة قائلة :

« اعطني هذه للسيد سيمونز من فضلك .

ابتعدت بيثني وسعدت جاكولين بصوت حداتها عبر غرفة الاستقبال . ربت جاكولين مكتبها ، وتابعت حقبة كتابها . يجب أن نذهب إلى المنزل أولاً كي نأكل شيئاً . كان ماتيو يعيش في الرواق . بانجاء غرفتها بخطى طويلة ووثيدة . أنها تستمتع بالنظر إليه وإلى تحركاته . واقعاً وأمه ومبساً . لم يكن أنيقاً ، ولكن شخصيته الصارمة جلستها إليه . إنها دعواً تجلس من هذا الاتجذاب . قال وهو يدعوها للعشاء :

« حسناً ، إذا لم يكن لديك ما تعمله الليلة . فما رأيك أن نتناول العشاء خارجاً . ونبعد هذه الأمسية عن طعام كوسبي الرائع ؟

أجابت بهدوء :

« اتفق ذلك .

فطلب جيتيه وسأها :

« أين ديفيد ؟ هل هو خارج المدينة ؟

« لا . إن ديفيد في أكرا كما اعتقد .

زاد من تقطيع جيتيه :

« اتجوزي . أين تريدان أن نذهب ؟

« أي مكان تريد عدا مطعم كودي كودي حيث يتناول به معظم المواطنين الغائبين طعامهم الغريب من الكتب .

ضحك وقال :

« لم أكن أفكر بمثل هذا المكان . أتى أفكر بمكان متطرف .

« إذن أي أنزل كومودور . تم اتفق أن تناول بعض المأكولات اللبنانية كالتيونة والكبة والجصص .

« حسناً . منذهب إليه الآن .

لم يشر إلى عيد ميلادها . وما زالت جاكولين مرتبكة ، لماذا يدعوها للعشاء ؟ قال ماتيو :

- ليحك فتركين شعرك متسدلاً فهو جميل .

كان شعرها طويلاً ومتوجهاً ومتساباً حتى عصرها . لن يضيقها ، ولن تشعر بالحرية ما دام الطعم متكاملاً . شعرت وكأنها ذات مرافقة تلي أول دعوة من صديقتها للمرة الأولى . لم تدرك لماذا كانت تشعر بالخجل وبالشروع معاً عندما أخذ ماتيو يطري شعرها .

طلب ماتيو عشاء فائراً مع بعض المربطات الباهظة الثمن ، وعندما احتضنت جاكولين ، ضحك ماتيو وقال :

- قل لي يحصل أحد بعد مولادة بلا مرطبات فاخرة ؟  
سألته ضاحكة :

- كيف علمت أن اليوم عيد ميلادي ؟

ضحك بدور وقال :

- من الباب الخاص بك ، فعندما علمت أنك بعملك الجديد في الشهر الماضي . كان علي أن أعود إلى مطبخ من أجل الترقية التي حصلت عليها . عندما لاحظت تاريخ ولادتك .

وضع يده في جيبه وأخرج منها علب صغيرة دفعها إليها عبر المائدة قائلاً :

- وهذه هي هدية العيد لأفضل مساعدة إدارية في أفريقيا الغربية .

سكنت وكأنها مصعوقة ثم نظرت إلى العلب دون أن تلمسها . اتسم لها وقال :

- ألا تريدان أن نري ما بداخلها ؟

اقتربت قائلة :

- لا . . . لا أستطيع أن أفتحها .

اجانب بسخوية مزعومة برعباً :

- لا تخزي تلك تريدان أن تشاخر هنا وأمام الناس ؟ ماذا سيظنون ؟

وعندما لم تبه التخط العلب ، وفتحها ثم وضعها بالقرب من مديها .

- هذه هدية مني لك . أرجو أن تقبلها .

أغضت جاكولين عينها ، ونظرت إلى العلب . أقراط صغيرة ناعمة من الذهب الصافي الذي صنع في غانا . ويحذر رفعتها ووضعها على

واحدة يدها وممسكت :

- أوه يا ماتيو ، ولم هذه الهدية الباهظة الثمن ؟

- ألم تعجبك ؟

- أوه رائعة . . . إنها جميلة .

- ولكنني أحب أن أراها تتمايل في أذنك ، آخذ منها الأقراط وقال ،

أحب أن أضعها لك بنفسي

أعجلتها الذكريات فتصرجت وبتها بحرارة :

- لا تخرجني يا ماتيو . . إن المكان عظيم . ولن تشاهد بشكلى جيد .

- هل تراهين ؟ دار حول الفلسفة ، وجلس على كرسي بالقرب منها ،

التفتي إلى .

كانت عيناه تعانق نظرائها . فقررت أن تنابع هذه النعمة معه . رفعت

يدها ونزعت القرط الذي كان في أذنها . رفع لها شعرها عن وجهها .

شعرت ببرودة يديه عندما لمس وجنتيها الدافئتين . وقرب وجهه كثيراً عنها

وهو يلمسك بعنف . ألقها اقترانه منها ، كما كان يحدث دائماً . وبدأ قلبها

ينبض بجودة .

وضع ماتيو الأقراط بسرعة ، ولم يواجه أية صعوبة في ذلك . وعندما

انتهى لم يتحرك بل نظر إليها :

- أنك جميلة ، خاصة عندما تلمز وجنتك هكذا :

- أشكرك .

- جيد سعيد يا جاكلي .

كانت بضرورة وسعادتها تفوق الرصف . . ضحكت في وجه ماتيو

وقالت :

- ولماذا اخترت هذه الهدية ؟

- هدية السلام . لأنني كنت غيباً بشكلى لا ينظر له عندما وصلت إلى

هنا . ولأشكرك على لطفك . لأنك استمعت لي وأنا أفضي إليك

أحراري . كنت في حاجة حاسة إلى الروح لأي شخص بما يقلقني ويقضي

مضجني .

- أشكرك يا ماتيو . أنتي بضرورة جداً .

لكنها شعرت بالذنب أيضاً ، فلم تكن بريئة هي الأخرى لأنها تركته في  
حيرة من أمرها ، ولم تقيمه عن حقيقتها ، وعن عملها السابق حتى وصل  
الملك الخاص بحياتها فاستشف ذلك بنفسه .

- انني سرور : أمك شوكتة وبدأ طفلها .  
وضعت جاكليين قليلاً من الشولة على ورقة خبز ، ثم وضعنها في  
صحنها وقالت :

- ماتيوز .  
نظر إليها نظرة ضاحكة أمرت عينيها .  
- نعم .

- أريد أن اعترف لك بسروري .  
- تعجبين ولماذا ؟

- لم أكن أنا أيضاً صريحة . كان علي أن أحوطك عن خبرتي في العمل ،  
لأنك تعتقد أشياء خاطئة . فقد كنت حياء .

- أعلم . بدأ في عيني لمعان داكن وعميق . دعينا الآن نسي . ان  
أعرفك جيداً الآن .

- توقف قلب جاكليين للمخافة :  
- ماذا تعرف ؟

- أعرف أنك تحبين عملك ، وتقومين به بانتظام . يا جاكلي لا أريد  
أن أفقدك ولو كلفني ذلك العالم بأكمله .

هذا ما تنصق فعلاً أن تسمعه منذ أن عملت معه . قال أياح لها بشي .  
فقد قال لها ما تريد . اعترافاً قلل غامض لشيء غمضه ولم تدرك كنهه .

فشعرت بالانزعاج . ماذا كانت تتوقع إذن . أخذت تتأمل .  
- دعينا ننسى البداية السيئة . . . انني أجد أن الأمور حدثت أفضل في  
الآونة الأخيرة .

- نعم . وثابتت طعنها من جلنيد .  
لم يكن الطعام مزدهجاً . وقد أضفت الشموع عليه جواً ودياً وعاطفياً .

عما جعل جاكليين تتأثر بهذا العشاء الفاخر . وتستمتع باهتمام إلى ماتيوز وهو  
يروي لها قصصاً مختلفة عن طفولته : منها المضحك ومنها الحزين .

وحسلاً إلى المنزل في وقت متأخر من الليل . ففتح لها ماتيوز الباب  
الواصل إلى غرفتها . تأملته . كان طويلًا جدًا . سطر على حواسها .  
فشعرت برغبة جامحة لمعاقه . شعور لم تستطع أن تفهمه . قالت :

- لقد قضيت أسية بعيدة يا ماتيوز أشكرك .  
بدأت نظراته دافئة وباسمة :

- حسناً . لقد استمتعت بصحبك يا جاكلي . انك صليقة لطيفة .  
يا يتحرك أحد منها . شعرت جاكليين بعودة الشرارة وبالاغترار في

أعضائها .  
أخضت عينيها ، ونظرت إلى سترته الخيرية المطبوعة بمشتقات اللون  
الانحصر . أرادت أن تغطي وجهها في صدره وأن تشعر بيديه حولها .

رفع رأسها بركة ، فازداد انحناء قلبها . التفت عيونها . . . وانتلات  
نظرة بالحنان وشي . آخر لم تفهمه . وفجأة تغيرت عيناه . . . أصبحت

نظرة داكنة ، ومبهمة . انزل يده عن وجهها يقلق وقال :

- تصحيح على غير يا جاكلي .  
- أشكرك من أجل الأفرط .  
صحبك ضحكة خفيفة وقال :

- انه من قواعي سروري يا جاكلي أن أشتري أقراطاً لك .  
لم يبق إلا أن تعلق الباب . انكأت عليه . . . داخها شعور بالحزن .

مشت ببطء إلى الحمام ونظرت في المرآة . بدأ وجهها حزناً . لكن الأقراط  
أصبحت عليه لمعاناً خفيفاً تحت انعكاس الضوء . وللحظة تأملت نفسها في

المرآة . ثم ما لبثت أن غطت وجهها بيديها . همت لا . . . أه . . .  
لا . . .

لقد وقعت في حب ماتيوز . لن تستطيع إنكار هذا أكثر من ذلك . لقد  
كنت مشاعرها في أعماقها تدريجياً ، ولكنها الآن لا تريد البوح بذلك .

شعور عميق خاص . . . لا يقاوم إنه الحب .  
لم تكن لسانه تلك التي جعلتها تشعر بهذا الدفء . كانت تحت كل ما

حولها . عياله ، ومشاعره ومعتقداته ، وشخصيته ، وقوته ، وكبرياءه  
الذي سمح له أن يعتزل منها ، لتصرفاته الخاطئة . وعلاوة على ذلك انها



قلب لحظات ضعفه وتعبه وانفعاله .

وعندما اضطجعت في سريره ، اعتذرت فذكر لماذا تخفيها حقيقة مشاعرها الى هذه الدرجة . يقولون ان الحب احساس منع ورائع يجي القلوب والأوصال . ولكن هل هو حلوة لا تدم . لاح امامها الشاعر الذي حملته الشاحنة . لا ليس الحب كذلك دوماً .

تالت الأيام جل ما هي عليه . الى ان فاجأها ماتييو يوماً قائلاً :  
- اريد ان اقضي اجازتي في الولايات المتحدة ، هل لك ان تدبري امر البطاقة والحجز ؟

اجابت قائلاً غيابه ؟

- اسافر الى الوطن ؟

- الا تظنين اني بحاجة لزيارة الوطن .

- نعم . . . نعم . . . طبعاً .

وسرحت وهي تفكر ان ماتييو سيعود الى الوطن ، مسافر مدة شهر .  
ليه فكر في الذهاب قبل الآن . اما الآن فان مجرد التفكير يسقره لا يطاق ثم تابع وهو يضحك :

- الا تريدني ان اذهب ؟

- انما كنت افكر لماذا ستفعل خلال غيابك ؟

- انني متأكد انك والزلاء ستطيعون ان تدبروا الامر بشكل لائق .  
- ومعنى سذهب ؟

- من منتصف الطريق وحتى منتصف تشرين الأول .

اعطاهما بعض التفصيلات ، وعاد الى مكتبه . وفي أحد الأيام اتى مييلا الى المكتب مع كوفي الممرضة . فحصلت بعض التغييرات . اتى مييلا الى اكوا لانها عمل له وقد نزل عند بعض اقرائه . تحدث مع ماتييو وقدم له اعتذاره ، لانه لم يكلمه فور وصوله . طلب ماتييو من كوفي ان تنام في غرفة الضيوف . تركت جاكولين عملها لتصحبها الى المنزل . مكثت كوفي اسبوعاً عندهما . استغرق حصولها على الأوراق الطبية يومين ، حتى اسلمتها من الجاهل مما اثار غضبها . كان ماتييو وجاكولين خلال مدة مكوثها معهما يستمعان الى التفاصيل الدقيقة جداً عن ظروف المحنة التي ألمت

يا . وعلى الرغم من ان جاكولين سرحت بزيارة كوفي ، إلا انها تقبضت استعداد عندما غادرتها أخيراً . كما ان ماتييو رفع عليه نحو أسبوعاً رباح . ضحكك جاكولين وقتئذ .

- ولكنها في الحقيقة لطيفة يا ماتييو .

- صحيح . كانت ثورعها ان تصيبي بالجنون .

عاش ديفيد بعد اسبوع متجهماً الى كينيا ، حيث سيعمل ستة اوسعة شهر . كانت الأسابيع الأخيرة قروضية وغريبة ، حتى ان جاكولين شعرت بها تكاليف مذهول هذه الأيام ، وتشعر بعدم التوازن . عملت جاكولين حاضبة ، وساعة مفارقة من الليل ، كي تنهي أكبر قدر من الاعمال في الأسابيع التي سبقت سفر ماتييو . فانتجار العمل أثناء وجوده سيخفف من اجناء العمل . ثراوت ان تشغل نفسها كيلا تفكر بأسرها الخاصة . وفي الساء كانت تقرأ كي تنام . وصلها بعد عيد ميلادها يومين عدة كتب من بلديا كهدية . أيقن وانداها ان الكتب ملكية شبة في ملاه لا يتوفر فيها الكثير من مجالات التسلية . حان سفر ماتييو ففادته جاكولين في الصباح الذكر الى المطار . اعتذرت ثراوتب الثامن بينما وقف ينتظر دوره لتفتش حقائبه . اجتمع جمهور متنوع من المسافرين في هو المطار من اقربيين ، وأصدقاء ، مرتدين ثياباً رائعة ، بما فيهم جماعة من الطلاب الرياضيين ونساء من تيجيريا يجذاتلهن النقطة . ثلالات اقراط وسلاسل الذهب في أنفاهن وعلى صدورهن . كانت امتعتن عزومة في سلاك وقلب مريوطة بالخطوط . اما لا عمل ايديا مراقبة الناس

اعلن وقت اقلاع الطائرة ، فحمل ماتييو حقيبة يده وقال :  
- لا تنتظري يا جاكي . . . لانا سنبقى في قاعة الترانزيت مدة من الزمن .

قالت بصوت طبيعي لم تحاطه ثورة اعماقها :

- حسناً . تمتع بمثلثك .

- ضحك في وجهها ، وريت على كعنها قائلاً :

- حقاً سيعيداً يا جاكي سأراك الشهر المقبل .

راقبه حتى غاب عن أنظارها . ثم أدارت وجهها تحاول ان تتلصع لعابها

على الرغم من تفحص حجرةها . وببطء ذهبت الى الشرفة ، فوجدت الى  
الفنانة التي تقف عند الباب تحس قطع نقدية صغيرة . بدت الطائرة  
ضخمة . . . حدثت بها جاكلين لثلة ، بينما اعترضها بطء . . . اربعة عربة .  
بدأ الركاب يصعدون متن الطائرة ، وهي ما زالت على الشرفة . رايت  
مانيو وهو يتقدم بخطى وثيدة يصعد الدرج ثم يخفي داخل الطائرة .  
شعور بالوحدة سيطر عليها ، وانفلات عيناه بالدموع . « تلك غيبة »  
همست في اعماقها . مجنون وقهقهة غبية . دارت وخرجت من المطار وكل  
شيء جز من حولها ، والالوان تضرب اعينها . لم تكن قد ابتعدت كثيراً  
عندما سمعت صوت الطائرة يشق عتاك السماء ، عطلت دموعها بدون  
توقف . لم تستطع جاكلين ان تواجه المنزل الموحش او المكتب . وعند  
مفترق ساحة دكاك انعطفت نحو اليسار باتجاه منزل ليزا .

حيث المشرف على منزل ليزا وقالت عندما دخلت المطبخ :  
- صباح الخير يا غوردسون هل السيدة تورتز موجودة ؟  
- انها في غرفة الجلوس يا سيدتي .

كانت ليزا جالسة على الأريكة تنظر الى جملاتها المكسرة . نظرت الى  
الأعلى وما ان رأت جاكلين حتى بدت دعستها واضحة . العفت نظارتها  
بوجهها وهي تحيها :

- أهلاً جاكلين . ماذا تفعلين هنا في منتصف أيام الأسبوع ؟ وخلال  
ساعات العمل هل طردك رئيسك ؟  
اجابتها جاكلين .

- لا .

دفعت ليزا بالجلات جانباً . ثم سألت جاكلين :

- تشرين القهوة معي اليس كذلك ؟

- اجل بكل سرور .

ذهبت ليزا لتعطي تعليماتها لغوردسون . وعندما عادت نظرت الى  
جاكلين وعمل وجهها تعبير قاس . وقالت لها :

- حسناً . اليس اليوم موعد انطلاق الرئيس الى وطنه ؟

جاء صوت جاكلين هزلاً يفترق الى الجعاس والحيات :

- نعم . لقد عدت لثوي من المطار . لم اوعب ان أعود فوراً الى  
المكتب . ساحصل معك بازرداد حريتي المفقودة وتشرب فنجاناً من  
القهوة .

اخلفت ليزا ضاحكة :

- شيء معقول فعلاً .

دخل غوردسون الغرفة وهو يحمل صينية القهوة . نهضت ليزا وأخذتها  
منه :

- شكراً يا غوردسون .

وضعت الصينية على المنضدة ونظرت الى جاكلين .

- تشرين فهورك بلا شكر أو حليب .

- نعم قهوة فقط من فضلك .

تأولت الفجان من ليزا وقالت :

- يبدو ان المكان هادئ . . . اين طباقتك ؟

- اخذتها كريس في زحمة . فهي تدرجها في حريتها كل يوم بعد تناول

لفظها قبل ان يشد الحز .

جلست ليزا ورشفت رشمة حلوة من فنجانها ، وهي تفحص جاكلين

وقالت :

- اذن ما هي المشكلة يا جاكلين ؟

تهدت جاكلين وقالت لنفسها ان تستطيع اخفاء الأمر عن ليزا ولن

تفديها . وأردفت قائلة :

- نظراً لكل الحقائق والوقائع القليلة لديك يا ليزا ألا تظنين اني سأشعر

بالسرور لأن مانيو سيغيب عن وجهي شهراً كاملاً ؟

ردت ليزا ببرود :

- من المحتمل .

- وماذا تعني من المحتمل ؟

نايمت ليزا :

- منذ مدة مضت كنت أجزم انك متفكرين فرحاً إذا غاب عنك ،

ولكنني لست متأكدة الآن ، توقفت قليلاً ، والأرجح انك حرة واعتقد

انك كنت تفكرين لشوك .

لم تنفوه جاكولين بكلمة . حدثت في التوافق العريضة حيث بدت من خلالها أوهام البوغفيلية الزهرية والبرقالية . وكأنها سحابة من غيوم أمام الزجاج . ترى منذ متى وأيزا تشعر أن أحاسيس جاكولين تغيرت تجاه ماتيو . ثم تابعت ضاحكة :

- جاكوي . هل تريدان أن نسمي تحليلي ؟

ضحكت جاكولين قليلاً في وجه أيزا وقالت :

- نعم أحب أن اسمع رأياً آخر .

- إليك رأيي إذن . انك تعانين من أزمة قلبية يسببها الحب . . .

مستعصية ولا تعالج . ضحكت أيزا متابعه . شعرت بأصابعك منذ مدة بسيطة .

اعتبرت جاكولين موجة ساحقة من اليأس وضحكت بحرارة في وجه صديقتها وقالت :

- أي شيء سيء هذا الذي أصابني ؟ كم يصبح الإنسان أحمق أحياناً .

ضحكت أيزا وقالت :

- أي حق هذا . أنا لا أرى أية حماقة في هذا الموضوع . في الحقيقة انك ذكية تماماً .

- أو .

- لست حققة لأنك تجاهلت علائم الحب التي اعترتك ، متظاهرة انك

لا غيبية . في حين بدأت تشعرين بهذه العاطفة وتحاولين تجاهلها . لقد اعترفت بالحقائق لنفسك ، وتستطيعين الآن أن تدوسيها .

ردت جاكولين :

- رجاء ! انخبريني كيف ؟

- لتحدث عن الأشياء الأولى أولاً . ملغاً عن دايانا ؟ لم تعد على ما

أظن . أما زالت صورتها ماثلة أمامه ؟

هزت جاكولين رأسها :

- لقد انتهى كل شيء بينها .

- إذن انه انسان حر الآن .

- نعم .

- إذن فما هي المشكلة الآن ؟

كانت جاكولين معجبة بتصريحات أيزا الواضحة والمباشرة . أما الآن فقد شعرت جاكولين بالارتباك حينها . التزع تحليل أيزا لمشاعر جاكولين إذ شعرت انها تنتقدنا . وأنها تطرح مشكلتها كأني عملية حسابية 2+1=1 ولكن الحب ليس هكذا . هل أناقل ليس في هذه الحالة الخاصة . كررت أيزا .

- إذن ما هي المشكلة ؟

- أوه يا أيزا لا أعلم . انني لو أعلم ، أحت رأسها ووضعت وجهها بين يديها وأردفت ، أريد أن يبادلني هذا الحب . ولكنه لا يفعل . ويكمل بساطة لا يفعل .

قالت أيزا بصوت ناعم :

- اني لا أعلم ما الذي حدث بين ماتيو ودايانا . ولكن مهما حدث قلته مؤلم جداً . لقد ألتفه . . . امنحه فرصة كي يعود لنفسه .

- وهل تظنين انه سيجني مع الزمن ؟

ضحكت أيزا وهي تلتصق نظراتها في وجهها مرعدة شعراً قرائه على إحدى الشاحنت :

- لا تفقسي الأمل يا جاكوي . اعطه فرصة كي يجمع أشلاء نفسه . إذا كنت تحبيه فعلاً ، فقليل من الانتظار لن يؤذيكي .

همست في سرها ، قليل من الانتظار لا يؤذيكي كيف ؟ وأنا أشعر أن غيابها عدة أسابيع قد طال . كان المكتب موحشاً وعملاً أثناء غيابها . لقد افقد الجميع غيابها . كأنه وحده سبب كل نشاط وفعالية . حاولت في البداية أن تحيي الجو إلا أن كل الموظفين عبروا عن استيائهم ونفاقهم بحاسهم . ولهذا أوقفت جاكولين محاولتها .

ذهبت إلى السرير في وقت مبكر حيث قرأت لمدة أطول مما اعتادت . تناولت الطعام مع أيزا وزوجها مرتين . وكان هذا امتداداً لحياتها الاجتماعية . لو كان دقيقه هنا . . . اعطت تفكير ولكنه ما زال في بيروبي . كل مجتمع بأوقاته الا هي .

وعني نرداد الأمور تعقيداً لم تسر الأمور على ما يرام أثناء غياب ماتيو .  
فقد مرضت بيثس وتوقفت عن أداء عملها . كما توقفت التلاجة عن  
العمل . والتلاجة الكبيرة كانت مثقلة بالسمك ، ودجاج الحش ،  
والأرانب ، فأخذت جاكولين تسعي من هنا الى هناك طوال صباح يوم  
الاثنين عثفاً تحت مسعاً في إحدى التلاجات . أودعت قسماً من الأطعمة  
لدى ليزا . ثم أودعت البقية في تلاجة ديفيد ، بعد أن أمضت ثلاث  
ساعات تبحث عن مفاتيح شفته . وأخيراً وبعد عدة مكائنات ، آل  
الميكانيكي ، وصاحب التلاجة فوق سيارة شاحنة ضخمة .  
ومضى اسبوع لم تلق جاكولين في مكانة من شركة التبريد التي تدعي  
انها ذات خدمات سريعة . مما اضطرها أن تذهب الى الورشة لتتأكد  
بنفسها .

فأجابها السيد آزو :

- اننا نبحث عن القطعة الناقصة . مؤكداً أن نصف موقعه قد قلبوا  
المدينة بحثاً عنها ليلاً تلو تلو .

لسانته :

- هل استطع أن أدون مواصفات القطعة الناقصة . ورقم موديل  
التلاجة . . . الرقم التسلسلي الخ . . .

أحضر لها القطعة وأخذ يعل عليها ما تريد . أخرجت جاكولين دفترها  
وقلمها وصحلت ما تريد من معلومات بشأن القطعة . وعندما عادت الى  
مكتبها . أرسلت برقية الى نيويورك ، تطلب منهم شراء القطعة وإرسالها  
مع ماتيو . ومن حسن حظها فإن القطعة صغيرة .  
لم يكن يتأخرها بلا تلاجة امرأ مستحيلة فقد تكيفت مع ظروف أصعب  
من هذه .

تهمت وهي تنظر الى كنيسة الأوراق التي عل مكتبها . فقد تأخرت  
بدراسة الملف المالي . حاولت جاهدة أن تضبط أمور الملف المالي ولكن دون  
جولوى . وعندما عادت ظهر أحد الأيام لتناول طعام الغداء ، أخبرها  
كومي ان الكواة قد احترقت ، فشرعت بحاجة الى الصراخ . قالت  
بسرعة وهي تبذل طعامها :

- سأنتظر امرها فيما بعد .

وفي المكتب عادت لدراسة الملف المالي وتابعت عملها . ولما اشرفت  
الساعة الى الرابعة بعد الظهر ، وجدت انها لم تستطع انهاء عملها . اذا كان  
الخطأ في الحسابات ما زال كما هو . خرجت من المكتب غاضبة ، ولم تعد  
ترى أي رقم آخر بعد ذلك . وفي المنزل أمسكت بالمكواة وهي في حيرة من  
أمرها . ماذا ستفعل بها . تذكرت انها شاهدت عل كهربائي في نهاية  
الشارع لا يبعد عنها كثيراً . أخذها اليه وأصلحتها وأعادها الى البيت .  
تبعها التقرير المالي ، فأحضرته معها الى المنزل ، علها تنبه في تلك  
الأمسية . جلست الى مائدة الطعام الكبيرة التي نطقت بأوراقها الكثيرة ،  
وعادت تتفحص كل رقم لديها مرة ثانية . يجب أن يكون هناك غلطة  
حقاً في مكان ما .

وأخيراً وجدت الغلط في تقرير التقلبات الصادر عن ماتيو . تراقصت  
الأرقام أمام عينها ، ومسحت نفسها وهي تشعر بخيبة مريرة . أه منك يا  
ماتيو . ألا تستطيع أن تتركني وشأني حتى وأنت بعيد . . . دفعت بالأوراق  
جانباً ووضعت رأسها بين يديها .

عاد ديفيد من كينيا الى غانا قبل اسبوع من موعد قدوم ماتيو . حاملاً  
معه جاكولين الكثير من الهدايا كالقهوة ، والجبن ، وقطعة قماش وسجدة  
من جلد الدب لم تستطع جاكولين عندما رأتها أن تكتم دهشتها . فقالت  
بنفس متقطع :

- اوه ديفيد ما هذا ؟ ماذا جلبت كل هذا ؟

أشرق وجهه بالابتسام :

- بكل سرور . ان قطعة القماش ريشة كي تصنع لها فطيراً بالجبن مع  
بعض القهوة المشطة ثم لدعولي لتناول العشاء في وقت آخر طبعاً .  
أمسكت جاكولين بالقماش كي ترى ألوانه الباهرة وأردفت :

- انه رائع يا ديفيد . . . لن أتر على ما يخالده في الأسواق هنا .  
فأجابها وهو يحاول أن يستقرها :

- يفصل بين غانا وكينيا قارة بأكملها .

حاولت جاهدة أن تفرم الصمت فلم تفتح فمها .

- اعلم هذا ولكنني أردت أن أبدي ملاحظة فقط .

ثم طوت قطعة القماش ووضعتها جانباً وسأله :

- هل أعد لك طعاماً ، ليس لدي الكثير لأن نلاحظي لا تعمل هذه الأيام .

- لا . اشكرك . أتيحت كي اصطحبك إلى العشاء ، وأحدثك عن رحلتي . لقد اصطدت ثلاثة أسود فطاردها ليل ثم ابتلعها الأحصنة . أبعاده وهي تستوجب طعاماً هذه الطريقة :

- ولكنك نسيت الأماشي . والفردة . هزمت رأسها وتابعت ، أسغها ديفيد متجد هذه القصص الشيرة اهتماماً أكبر في الزمن حيث يتوفر لديك جمهور ضاحك هناك .

- كم تفلسف مني .

- هل كنيها جميلة كما يقال ؟

- إنما عقيمة وساحرة . نعم إنها جميلة . حسني من مظهرك قليلاً لتخرج .

تأخرت الطائرة مائيو . انتظرتها جاكليو بعصبية لم تشعر بها في أي وقت مضى . كان المطار مكتظاً وصاحباً وفوضواً . والمقنن حاراً ورملياً . حتى عندما وقفت خارجاً على شرفة المطار كي تشاهد الطائرة عن كثب لم تشعر بأي نسيم خفيف .

سقطت الطائرة أخيراً . حلفت جاكليو جاعلة في جميع المسافرين وهم يخطون سلم الطائرة ، ومشت إلى نهاية المدرج . لم تر مائيو . ترى أين هو الآن ؟

انتظرت حتى خرج آخر مسافر من قاعة الجمارك . استسلمت للأمر عندما وجدت أن المطار قدما مهجوراً . لم يأت . لم يكن على متن الطائرة ، زبحر الاستياء في داخلها ، فصعدت أدراجها إلى سيارتها . تشمر بالمزمنة وهي حزينة . لن تأتي أية طائرة من نيويورك قبل الأسبوع المقبل .

مضت لبثان وسبنا كانت جاكليو تنعم بتموم هادئ ، سمعت قرعاً خفيفاً على مكيف هواء غرفتها ووضوئاً خفياً :

- جاني . . . اقتبني لي . . . أنا مائيو .

وسرعة بحثت عن عبايتها فلم تجدتها . . . في الغنجل لا يأتي . وكشفت إلى ثياب وقليها يقف بين أضلعها .

- أأني أسف اضطررت أن أوفطك . لكن مقناحي ليس معي ، ولم أجد كرسي في المنزل .

تخطاها إلى غرفة الجلوس . قالت له وهي تتوق أن تعانقه :

- لا أجم تلك .

لكنه تابع بنبرة دون أن يتوقف . مشى إلى الباب الواصل إلى غرفة الجلوس الرئيسية . ووضع حقيبة على أرض الغرفة بدون أن ينظر إليها مرة أخرى . تبعته إلى الغرفة :

- من أين أتيت يا مائيو ؟

- من لندن .

- لندن !

- أجل كان لدي مقابلة مع بعض رجال المصارف من أجل برنامج الاعتماد المالي . تغور الاجتماع في آخر لحظة . ولم يكن لدي وقت لأعلمك بذلك . أسف لأنك ذهبت إلى المطار يوم الثلاثاء بدون جنوى .

- لا جم .

فرك عنقه وقال :

- يا الهي ما هذه الساعة ؟ كان المقروض أن أصل إلى هنا قبل ساعتين . ما إن جان وقت هبوط الطائرة حتى انقطعت الكهرباء . فاضطرونا إلى العودة إلى الفندق . حيث مكثنا في مطارها ما يقوى الساعة إلى أن أصلح التيار الكهربائي .

بدأ مرهقاً .

- هل أحضر لك شيئاً تأكله أو عصيراً تشربه ؟

قال وهي متأكدة أنه لا يشعر بوجودها :

- لا اشكرك . أتي بحاجة إلى النوم فقط . ما الأخبار هنا ؟

- حسنة . ثم نواجه الكثير من الشاغب .

- شايستجم وأذهب إلى القرائي . وستكنم في الغد .

أدار وجهه وذهب إلى غرفته . جلست جاكليو على الأريكة لا تستطيع

الحراك . لم ينظر اليها . كم كنت أن تذكر ما أصابها من حجة مريرة . ماذا كانت تتوقع إذن ؟ حتى لم تتوقع أن يعانقها ويضمها بعاطفة قوية . لم تشعر كم مضى من الوقت عندما عدك إلى غرفة الجلوس مرتلياً قميصاً أبيض وسيراً جلدياً .

هل ما زلت هنا ؟ ظننت أنك عدت إلى سبروك .

ليس لدي رغبة في النوم .

حقق قلبها بشدة عندما جلس إلى جانبها .

وأنا كذلك . انعشني بالخم . شعرت بالحيرة الآن .

خلل أصابعه بين شعره وضحك .

كنت في طريقى للمطبخ لأحضر كأساً من الشراب . هل تريدون كأساً مثله ؟

لا شكراً . لا يوجد لدينا شيء بارد .

حسناً . سأشرب قهوة . لقد أحضرت قطعة التلاجة معي . أحضر القهوة وقال :

لم تحصل أية مأساة في غيابي إذن ؟

لا . مرضت بيشن وغابت عن العمل لمدة اسبوع . تعطلت التلاجة ، وتوقفت المكواة عن العمل . واستغرق تنظيم التقرير المالي ثلاثة أيام .

ولم تصف أن السبب في ذلك يعود إلى خطأ ارتكبه هو .

خلل هذا كل شيء . اني متأكد أنك لم تسي شيئاً .

ضحك . فلم تستطع جاكين النظر في صيته . ويبد مرثعة أمسكت فتجان قورشما .

هل انت بخير يا جاكى . ارى أنك ترهقين .

أخذ الفتجان من يدها وأمسك بوجهها . ونظر اليها قائلاً :

الخير يقي هل هناك شيء ؟ هل حدث منك شيء ؟

لا . لا . لا .

أجابته وقلها يخفق بشدة حتى أنها كانت واثقة من أنه يسمعه . أنها متعلقة إليه ، إلى نظراته ولسانه . لم تستطع كبح جماح عواطفها فأغلقت عينها

وقالت :

عانقني يا ماتيو .

إن صوبتها خدساً . . . لم تستطع أن تقاوم عاطفتها تجاهه . أنها بحاجة

إليه . . . عانقته بلواحيها ، وعانقها بشوهر بحب وشوق يعجز الخيال عن

وصفها . أنه بحاجة مثالة اليها . لم تفكر بشيء سوى بوجات الحب

والاستيقاق الجائعة التي غدت كموجبات الأثم . دام انسجامهما لدقائق .

وشعرت بيده تعانقها بحب ، وفجأة وضحك وقسوة وحرارة أبعدتها عنه . . .

ماذا تفكرين أنك فاعلة ؟

كنت كشماته كالصاعقة فوق رأسها ، ودار العالم من حولها . . شعرت

أن الأثم يسحقها . . . تجمدت أوصافها . . . خافت من عاطفتها التي لا

تقاوم . حلفت في وجهه فرائه قاسياً . وتلاشى الحب من نظراته لتصبح

باردة ودائكة . كانت ترتعد ، وتشعر بالأشمزاز من نفسها تحجلاً .

غصت الكلمات في حلقها . أنها لا تستطيع أن تصلح الأمر الآن . أرادت

أن تهرب . . . أن توت . . . أن تدفن في التراب . وقف ينظر اليها من

برجه العاجي قائلاً :

اشكرك لهذا العرض . اشكرك لما قدمت لي . . . لكن لا . . .

ليس لي إلا أن اشكرك .

وعاثر الفقرة :



لم تعلم جاكلين كيف وصلت الى سريرها. كانت ترغب من الاهانة، وكاد ضيق صدرها يمزقها. انصرفت دموعها بغزارة، وبللت وجنتيها الى ان استقرت على الوسادة. أه يا الهي! ماذا فعلت؟ وكيف حدث هذا؟ لا تستطيع مقابله بعد الآن. كان عليها ان تقابله، ولا تستطيع ان تصدده بطريقة أو بأخرى... ستقابله في المكتب... وفي المنزل... ليس بالأمز حيلة. أشعلت الساعة الثالثة صباحاً... ولم تزل جاكلين متفتحة، وعصبية المزاج. حامت كلماته حول رأسها كالأشباح... أشكرك طرد الثقيلة... لكن لا... شكراً. ماذا كان يقصد؟ عادت كلماته مرة أخرى تفرح نافوس أفكارها. هل يقصد ان العنيت ذات الاخلاق الفاضلة لا يتهاقن حل الثبات هكذا؟ وهل هذا علاقة بحسن التربية. انها

## ٨ - لا... لا تخدعني

نعم، وتسيطر جاذبيته عليها تماماً فلا تستطيع مقاومتها. وبعد محاولات عديدة، دامها نوم غلبت منقطع... ثم ما لبثت ان استيقظت وهي تشعر بالانهاك. سحب نفسها من السرير، ونظرت الى وجهها في مرآة الحمام، يدا وجهها كثيراً بتأثير الدوائر التي ظهرت تحت عينها، وتساءلت هل ستقابل ماتيو على مائدة الافطار؟ عكس وجهها ترفعاتها بعصبية. وشكل لا ارادي، جمعت قبضة يديا وبشدة وضمت لنفسها: اخرجني إليه... والقي عليه نحية الصباح. ثم اجلسي في الطرف المقابل له غير المائتة. تناولي طعامك دون ان تشكلمي كثيراً. ارفعي رأسك عالياً، وانظري له وجهاً لوجه.

ترى هل تستطيع حقاً ان ترفع رأسها عالياً؟ كما غلب عليها الأفكار؟ ليتها تستطيع... انها تريد ان تبقى تحت الملاءات، لتلا تراه ثانية... والى الأبد.

استحمت، وارتدت ملابسها بإذلة المزيد من الجهد كي تخفي آثار حزنها. قوضت كمية من مساحيق التجميل على وجهها. بينما بدأت معدنها تنقص حتى قصرت انها استجالت عقداً. بدأت فلعها ترغيفان وهي تفتح الباب المؤدي الى الغرفة الرئيسية. لم يكن ماتيو موجوداً. وكان كوسي في المطبخ عنكبوتاً بقل البيض فأنته:

هل شاهدت السيد سيمونز؟

نظر كوسي اليها بأرنياك وقال:

وهل عاد السيد سيمونز؟

لم يكن كوسي على علم بعودة سيمونز أثناء الليل. ومن الطبيعي ان ماتيو لم يتنفس باكراً كالعادة بعد ان عاد متعباً من لندن. تنهدت ياريتاج وضمت لنفسها:

اذن سيتأجل لقائنا حتى وقت آخر من هذا اليوم.

دخل ماتيو المكتب بعد عدة ساعات أتبعاً وتلفيحاً يدون ان يلبس عليه إشارات التعب، ففقر قلبها عندها رائحة، وتنشقت رائحة عطره. ثم قال بيروء وهدهده:

صباح الخير، ان بريدي مليء بالاوراق، ولا أدري كيف أرتبه. فقول

لك. ان تشاهديني لتسجل الاولويات.

- ماخلق بك خلال دقيقة. هل تريد بعض الشهوة؟

- نعم من فضلك.

انها علاقة عمل بينها... لم تعلم جاكليين كيف استطاعت الاحتفاظ برباطة حشها. نظرت اليه وكلمته، وكان شيئاً لم يكن. ولكنها نجحت معها كانت الطريقة التي اتبعتها.

مضت الأسابيع تاجاً، وجاكليين مرهقة كثيرة. تعمل بنشاط كبير محاولة ألا تفكر بشيء خاص، حتى بدت كالخدرين، لا تنمي شيئاً عما حولها. فقد كانت هذه الطريقة الوحيدة التي جعلتها قادرة على التلزم مع الحياة من جديد.

كانا يلترسان المصمت، او يتكلمان عن الشيء نافية، كلما جلسا الى المائدة. لم ينحط ماتييو ان تصرفات جاكليين قد تبدلت. ولربما اراد ذلك.

غدت تصرفاتها كتصرفات الغرباء. ليس لاحدها علاقة بالآخر. يبدو ان هذا الحاجز يبقى صامداً بينها. تكن جاكليين بدأت تشعر بفراغ عاطفي كبير وكأنها من عذبة الأموات. كم من مرة اجتاحتها موجبات الم نفسي حال، عندما كانت تخلص النظر الى أصابعه القوية ذات اللون الغامق وهو يوقع الرسائل، وإلى شعره الملتف حول أذنيه. انها لا تذكره وعلى يقين من ذلك. ولا تستطيع بأي حال من الأحوال ان تذكره. يا الهي! ما الذي اشياها في تلك الليلة عندما عاد من لندن؟ ما الذي جعلها تتأمل، او تظن انه يمكن لها الانحسار نفسه.

انه الحب! تلك الكلمة التي حملت بها كيا تحلم الفتيات الصغيرات بأسيات، حاملة في ضوء القمر. قلات وورود ولسات شاعرية في الظلام.

استلأت احلامها في النهار بصورة الفرسان المدرعين، والأمراء الانيقين... ثم تناهت احلامها لتستقر على رجل يصبح شريكاً لها، رجل يجيها ويحترمها لا يبتذل شعرها الأنثوي، وعينها الزرقاوين، رجل يدخل أعماق نفسها ليرى ما فيها فيقدرها.

- اني أعرفك جيداً.

لقد همس ماتييو هذه الجملة وهما يتناولان طعام العشاء في أمسية عيد ميلادها. ولكن ما الذي يعرفه انذا؟ انه يعرف انها عاملة مجدة، لكنه لا يعرف انها امرأة، ولم يشر الى هذا لأن انوثتها لم ترقه. اذن لماذا عانقها بعطف وحنان؟

اخط اضطراب جاكليين بالأزدياد، كلما فكرت بالأمر. وماذا بدو منها؟ لم تكن واثقة من شيء سوى حبها لماتييو انه الشيء الوحيد الذي لن يتغير أبداً. ولكنها لا تستطيع ان تفهم غيبه أمليها، انه الرجل الذي تريد، وتريد ان تشاركه حياته.

ان حماس ماتييو لعمله، واهتمامه بالذين حوله، كانا قوياً محضراً اعجابها. انه يكافح ويتأصل ليساعد الناس. انه رجل حنون. بل انه وجعل بكل ما في طاقته الكلمة من معنى. لقد أبقت في داخلها احساساً لم يشعرها به احد من قبل، وأيقظت حساساته مشاعرها الدقيقة التي اخفتت تزجر في داخلها طالبة المزيد من الحب. انها تشعر سعيها بزحف في داخلها كالأمم العميقة، اغصنت عيناها طارئة جميع الافكار الأخرى من رأسها... يجب ان تعتاد الحياة بلا ماتييو، وملاحيه.

دعاهما ديفيد الى حفل في منزله. وحاول ان يتكلم مع جاكليين عندما شعر ان حزناً ما يلوح في الأفق... وبعد ان غادر الضيوف منزله، خال لها: - لن نستطيعي يا جاكلي ان نضميني بأن شيئاً لم يحدث. فأنا واثق ان هناك شيئاً ما قد حصل والألم لا ظهرت وكان الغيبة قد سلبت منك.

اجابته بصوت حزين:

- لا استطيع ان اتكلم عما يؤرقني يا ديفيد؟

- لا تنسي انني صديقك.

- انا... انا... سمعتها حزناً مغلياً، فارتعش صوتها، وتلاشت ورباطة جأشها، حام وجه ماتييو حول ناظرها... وكان صوته جاءها من مكان بعيد: انك جميلة يا جاكلي... انك جميلة بشكل خاص، شجرت بلواحيه حولها.

لم تكن تلك زراعي ماتيو . . بل زراعي ديفيد . همس : جاكى جاكى  
ضربها اليه وهو يمسح شعرها بيده .

صرخت اصدائها . . لن ابقي ، لا لن ابقي ، فقبضت على  
حجرتها ، لتجس صوتها قائلها ، واحترقت الدموع في مقالبها .

وبعد لحظات هدأت ، ورأسها فوق كتف ديفيد ، ومع انها اثرت لها  
لا ينبغي ان تفعل ذلك . لكنها لم تهتم ، اخيراً رفعت رأسها وقالت :  
- أسفة يا ديفيد .

- لا تتعزري يا جاكى ، ابعده شعرها عن وجهها ، وانحنى يعانقها لطم  
تقاوم .

ليه كان ماتيو . . لا لم يكن ماتيو من يمانتها . . انه ديفيد ، ديفيد  
الذي كان وما زال لطيفاً ودوداً دائماً . وهو صديقها ويفهمها جيداً . ليه  
تحبه لانتهى الأمر بكل بساطة . ولكنها لا تحبه كما ينبغي ان تحب المرأة  
الرجل . ابتعدت عنه وقالت :

- يجب ان اذهب الى المنزل .

- لماذا لا تبقي هنا يا جاكى ؟

انباتها موجه اخراً ما لبثت ان رأت : نعم لم لا ابقي ! لا يوجد عند  
كثير من الرجال من لهم صفات ديفيد . سيكون لطيفاً وأنيباً كما انه  
يستلطفها وهي كذلك .

لا ان هذا لا يكفي . انها ليست بحاجة الى هذا الآن فردت مبتسمة :  
- لا استطيع يا ديفيد . ليس من اللائق ان ابقي .

- انك اعد امرأة التفتت بها في حياتي . من رأسه تعالي سأقولك الى  
المنزل .

وفي سكوت الليل ، وما ان جلست في السيارة الى جانب ديفيد ، حتى  
انفاجها شعور بان شيئاً ما سيحدث . لن تستطيع جاكى ان تستمر هكذا .  
وهي تشتم بخواء عاطفي في نفسها .

ارسلها ديفيد الى البوابة الكبيرة ، ضبع قبلة على خدها ، وغنى لمائلة  
سعيدة .

اغلق على الباب ورامها . وما ان وصلت الى غرفتها ، حتى وجدت

الباب المؤدي الى حجرة الجلوس مفتوحاً على مصراعيه . كان ماتيو واقعاً  
امام الباب كالجرح يمسك فيها . . ووجهه شحج الجوز بالتوتر . وساد  
الصمت . بلد غضبه السكون ، وقال بلهجة عنيفة وكأنها صفع جاكى على  
وجهها :

- اين كنت حتى هذا الوقت من الليل ؟

نظرت اليه محاولة ان تهدئ من روعها :  
- لا علاقة لك بهذا .

اجابها وهو يتأملها بازدياد من رأسها حتى الحصى قديمها :

- استطيع ان اخن نفسي . وتابع وهو ينظر الى ثوبها ، وقراطها المتدلية  
من اذنيها ، الساعة الثانية من صباح يوم الاربعاء . هل تعلمين هذا ؟ هل  
كنت تسمرين احداً ؟ ام تمشين معه مرة اخرى ؟

جفلت جاكى لدى سماعها صوته المزعجر :

- اذا كنت تسمع لي فاني سأجعل غرقتي لانام .

وما ان خطت نحو غرفة نومها ، حتى وقفت مدعوية ومثمرة في  
مكائها ، فقد شعرت بيد القوة تقبض بشدة على زراعها . حاولت ان  
تحرر منه فلم تستطع فصرخت :

- تروكني .

فجهر الغضب في وجه كل منهما ، وشحن الجو بينهما غميراً من التوتر  
الغاضب ، وتطاير الشرور فقال وهو يقبض صوته :

- أنتك غايرة هاتفة الساعة الواحدة ليلاً ، ذهبت لأوقظك فلم اجنك  
في صربوك .

اعتراها خوف مفاجي . . . غايرة بعد منتصف الليل . لا بد ان هناك  
كارتة . . . غايرة من أميركا . . هل أصاب والداه ام جدتها اي مكروه ؟  
سأله :

- ومن كان للتكلم ؟

- لا أعلم . لم يعطني الاسم . اعتقد انه احد اصدقائك الشباب  
المعروفين .

وعندما وصلت لأرض السجادة كان قد غير رأيه ، وأقبل الخط .

سرت في اوصالها الراحة... لو كانت غايمة مولية لأدرك ذلك.

- أسفة لأزعجك في مثل ذلك الوقت.

- ليست المسألة مسألة أزعاج. المشكلة الحقيقية هي انك لم تكو في فراشك. وقد تجاوزت الساعة الواحدة ليلاً. ظننت انك عطروحة في إحدى القنوات تعاني من سكرات الموت، اودعك احد سائقى سيارات الأجرة المجانيين. لا تستطيعين ان تصوري بماذا كنت افكر. لا... لم تستطع جاكين ان تشاركه مخوفه، لأن هناك أماكن أخرى من الممكن ان يكون قد فكر فيها كبيت ديفيد مثلاً.

ودت جاكين ببرودة:

- التي مسرورة من اعماقي لاهتمامك هذا... دعني انام الآن.

ودون ان يضوه بكلمة، اندار ظهره وخرج صاعداً الباب وراءه، غلوى صوته في أنحاء المنزل.

جلست جاكين على الشرفة، تحاول ان تقرأ كتاباً بعد ظهر احد الأيام من منتصف تشرين الثاني. لم يجلبها الكتاب، بل سرحت تتأمل الأذهان، والوان الحديقة الخضراء المتعددة، كم تحب هذا مكان، وان فقد كل شيء ضيائه وبريقه هذه الأيام.

امضت جاكين ابامها التالية، وكأنها لعبة ألترامانيكية تحاول ألا تشعر، او تفكر. انها تقوم بالاعمال الواجب كإوتها دون اي اهتمام. ولكن ما ان غلغل الى هلوتهاد وتعود الى نفسها في مثل هذه اللحظات، حتى كانت الأسئلة تطاردوها كالأشباح. لماذا سميت ماتيوز؟ ولم لا تجد من تفكيرها به وتنساء؟ ان الحبيب يضفي الشرافة على حياة المحب، ويجعله يتوهج بمحبة. لكنها مع الأسف لا تشعر بهذا. اجل. للحب حلالة ولكن ليس في جميع الأحوال. ان حبها حزين، ومثلها نفسها المأ. فكلمها شاهدت ماتيوز او سمعت صوته، او فكرت به، تشعر بالقران العميق فتمنى مستخلص من هذا الشعور؟

قطعت فتجاوت كويسي في الخارج، واخذت تتطير لتقف على الجدار الذي يفصل حديثها عن حديقة الجيران. سمعت صوتاً بعيداً. وما ليست سيارة ديفيد ان وقفت عند البوابة الكبيرة. نظر اليها بتكثيرة

عريضة، وشعره الأشقر يتلألأ. بدا رائعاً يلبيس الجينز والجلود البلاستيكي.

- مرحباً يا حلوة، هل انت مشغولة؟

- ليست مشغولة. اجلس هل تريد شراباً بارداً ام قهوة؟

- أفضل شاياً مثلاً من فضلك.

قفزت جاكين بسرعة الى المطبخ حيث جلبت الابريق والكؤوس وقأها قائلاً:

- لدي اخبار سارة اريد ان اريكها لك. طانت اول انسان يجب ان يعلم

جا.

- الخيزلي: اخبرني، اجابت بحماس.

- لقد ثبت ترقية في عملي، وموسولوني الى الفيليين.

جلست في وجهه وقالت:

- الفيليين؟

- نعم يا جاكين. سأغادر في الشهر المقبل.

- أوه يا ديفيد!

- البت فرحة من أجلي؟

- نعم، ولكنني سأفقدك.

- وأنا أيضاً يا جاكين.

حلقا ببعضها بعضاء انها يغنيان ذلك، ويصويت متحفص سائلاً:

- ما بك يا ديفيد؟

نظر اليها نظرة طويلة واجاب:

- لاء، لا شيء يا جاكين. لم نحصل معاً على ما نريد.

- ليتنا استطعنا.

- بما ليت.

- كم تمنت ان اخبك بقوري، واغضب منك الى الفيليين و...

حالت حفات الوداع، ودعت جاكين وماتيوز الى معظما، فكانت كلي منها يشهد بسيارته وحيداً ويعود كذلك. أقامت ليزا في منزلها حقلًا

تشكرباً، ذهبت جاكلين اليه، في حين لم تعلم جاكلين عن ماتيو شيئاً،  
ولين امضى ذلك المساء.

اقام احد اصداقه حفلة حفلاً في بيته الريفي على الشاطئ. كان كريماً  
اد اثار الشاطئ، تصاييح على البطارية، وقدم طعاماً فرنسياً باهظ  
التكاليف، احضره من ثوقو. امتلأ الشاطئ بالرفصات والانعام  
الموسيقية. وقد احضر بعض المدعوين ملابس السباحة، وقفوا فوق  
الامواج يسبحون ويمرحون. ارتدت جاكلين ثوب سباحتها. . . وقفزت في  
البحر بتردد. . . انها لا تحب ان تسبح ليلاً، فقد كان الظلام حالكاً،  
والياوات شديدة. لم تستمتع بالحفل، لأنها لا تعرف معظم المدعوين. ولم  
تكن لديها الرغبة لتعرف على أحد منهم. بل لم تكن لديها الرغبة في ان  
تفعل شيئاً في الآونة الأخيرة.

ابتعدت عن الناس والأصواء والضججيات، وجلست وحدها بعيدة  
على زند شجرة قرب مياه الشاطئ. لم تستطع الابتعاد أكثر، فقد كان  
الظلام شديداً، وهي متعبة القوى.

كانت تنظر الى أفق البحر الاسود كالمخمرين. وتستمع الى صوت  
ارتطام الامواج العالي على الشاطئ. وتنظر الى زبد الفرج اللؤلؤي تحت  
أشعة القمر.

احسّت خجلة ان احداً يقترب منها. . . ولم تعرف اليه الا عندما لاح  
خياله الطويل، ووقف غيباً امامها كالبحر.

جاكلين؟

ماتيو. اخرج الالم مع ذفات قلبها المتضاربة. لماذا الرعدة والخوف؟  
م. تخافين؟ انه ماتيو. . . هست ماتيو.

جلس الى جانبها على زند الشجرة وقال:

اريد ان احدث اليك يا جاكلي.

لا ان. . . انني هنا في حفل واود الاستمتاع به.

ليس الحفلة عن العمل. . . ليذهب العمل الى الجحيم.

لم تحبه. بل تقلصت كل عروقها، واخذ قلبها ككرة الطاولة يقفز بعنون  
من مكان لاخر.

لم تنظري الي. ولم تكلميني منذ أسابيع. لم استطع الانفراد بك،  
فاحياناً يعترضني كومي، واخرى يشتم، او اي شخص آخر.  
لا اريد ان اكون وحدي معك. لم تشعر ان صوتها مثل بالخوف،  
وبدا الغضب واضحاً في كلامها.

لكني اريد ان اكون وحيداً معك.

امسك بكفيها، وجذبها اليه بعنف. تسلمت يدها حوله. وقيل ان  
تترك ما حدث كان يعاقبها بعنف. كانت تشعر به. يقترب منها  
فاجاحتها موجة من الذعر. لن تدع انقاسة تفكر. . . لا لي تدعها. . .  
ابتعدت وجهها عنه بعنف وقالت:

لا تلمسني. . . لا تلمسني ايدياً بعد الآن.

لكن زراعيه طوقناها بشدة ولم يدعها تلعب.

تدفقت ذكريات تلك الليلة في ذهنها عندما عاد من لندن، وحر في  
نفسها الدل الذي عانته. لم تشعر به وكان كل احساس نجاة قد اختفى  
فجأة. ولم يبق لديها الا الالم والارارة التي شعرت بها في تلك الليلة،  
والهستيريا التي أخذت تصاعد في أعماقها لدى كل لسة من لسانه. لأنها  
لا تريد ان يلصقها. . . انها لا تريد صرخت:

دعني اذهب دعني.

حاولت ان تحطم اغلاله. لكنه امسكها بعنف وكان ذراعيه طوق من  
حديد، وكلما حاولت الابتعاد عنه، كلما ضمها اليه بعنف اشد.

اهدائي يا جاكلي اهدائي.

امسك بكفيها، واخذ يمزها بعنف. سمرت وجفاتها غريبة في اوصافها،  
واذركت انها كانت تشقى. ولم تستطع ان تكبح جراح نفسها. كان البحر  
يزجر في افئفئها، وبمحاولة يائسة أخيرة استطاعت ان تحرر نفسها أو انه  
تركها. وبخطوات متعرجة هربت منه تنفخ طربقها في الظلام عائداً الى  
البيت. فتحت الأبواب، فوجدت غرفة نوم، رمت نفسها فوق احد  
الاصرة تشقى بحر كرات لا رادفة. وما ان مضت لحظات، حتى كان ديفيد  
يقف الى جانبها والقليل ياد على وجهه.

جاكلي يخنق النساء ماذا حصل؟

.. لا شيء؟

وأشاحت بوجهها عنه.

.. لا شيء، ... أتركني وحدي رجاء.

.. لقد دخلت الغرفة وأنت تبكين، كان العلم قد انتهى، وتقولين ليس هناك شيء.

فرب الصباح افوجود على المتصلة منها حتى يراها بوضوح أكثر.

.. ما هذا؟

لمست أصابعه فظهرها. كانت لمسات ماتييو واضحة، ونحت نظراته القاصصة شعرت به جاكولين أنها يثرب السباحة.

.. لا شيء، ... لا شيء.

.. هل حاول أحد أن ... جاكوي الخبريني.

.. لا، لا، ليس كما تتخيل ليس شيء من هذا القبيل يا ديفيد.

سمعا طرفاً خفيفاً على الباب فاستوت جاكولين في جلستها.

.. لا تدعه يدخل يا ديفيد، ... لا تدعه.

خرج ديفيد من الغرفة في اللحظة نفسها. سمعت أصواتاً عالية ومضطربة ثم غدت حائلة إلى أن تلاشت. لم تسمع كلمة واحدة مما قبل.

اضطربت نظرها على الوسادة وهي تشعر بتخلص في جسمها. بدأ الوقت طولاً قبل أن يعود ديفيد وحده إلى الغرفة.

قدم لها كوباً من العصير المثلج. أخذت تشربه ببطء دون أن تنظر إليه.

.. هل كان ماتييو بالباب هنا؟

ساد صمت قبل أن يجيبها:

.. أجل أنه ماتييو.

.. لم يحدث ما تخيلت يا ديفيد.

.. لا، أنني أعلم.

لن يجربها ديفيد عن حديثه مع ماتييو. ولكن الأمر لا يحمده. أنتمتها

العصير، وهذا من روحها، فتركها ديفيد كي تعود إلى الحفل. انطفت

الصباح، وحلقت في الظلام، فلم تر إلا عقلة الناموسية التي أضاعها ديفيد. كانت أصوات الموسيقى، وضججرات الحضور تنهادي إليها عبر

النافذة على احتجة التسميم.

فكرت ملياً وأخذت تخطط لهذا مستقبل:

يجب أن انذهب، ... لن أقبل أكثر من ذلك، يجب أن اغادر هذا

البلد، وأطلب تقني إلى بلد آخر. لا أستطيع العيش هنا.

عاد ديفيد بعد حوالي الساعة إلى غرفتها، وقد جلب لها ملابسها. وقال

صايطجك إلى المنزل فقد حان وقت العودة. هزت رأسها.

.. لا لقد آتيت بأحدى سيارات المكتب وسأعود بها. لم آت مع ماتييو.

.. ستأتين الآن تعني، وسعيدتها يوم غد الأحد.

خرج ليتبع لها للرجال كي ترتدي ملابسها.

لم يتقوه بكلمة أثناء الطريق الطويل إلى المنزل. سافر ديفيد في الأسبوع

الذي سبق عيد الميلاد إلى أميركا وأعدا إياها أن يزور والدتها. كم تمت أن

تذهب هي أيضاً. كي تبعه عن أكرأ وعن ماتييو. لم تعلم كيف ستضي

الأسابيع المقبلة ريثما يوافق مكتب نيويورك على نقلها، ويرسل لها ائتمارا

بذلك حيث ستخبر ماتييو.

حان وقت رياح اغارتمان... وهي رياح شمالية شرقية تهب على

أفريقيا. فتكسو السحاب برداً من الغبار الرمادي المصفر تحجب الشمس.

وتزيد في ارتفاع الحرارة. أصبحت جاكولين مثابة من انضها وبعها من

الغيار. لم يغير هذا الجو الكتيب من حالة جاكولين النفسية. إلا أن الشمس

بدت يشحوبها وكأبتها تشبه حياة جاكولين إلى حد كبير.

أقامت عائلة نورتر تيمانية الاحتفال بعيد الميلاد حفل عشاء. حضروا

له ديك حيض من كينيا. ساعدت جاكولين ليذا بتحضير المستلزمات. وبينما

كانت ليذا وجاكولين تمشلان بالملطبخ سألنها ليذا:

.. أعلم أنه ليس من شأن أن أسألك عن هذا التغيير الذي طرأ عليك؟

.. إنه المارماتان إلا تعلمين تأثيره في الناس، قالت جاكولين ببساطة، أنه

يغير من نفسيات الناس فيصبحون كالمجانين.

نظرت ليذا إليها وقالت:

.. انظري إلى نفسك. لقد نقص وزنك. كما أنك تبدين تعسة، ومتعلقة

على نفسك كصلفة البطليونس. ماذا حصل بينك وبين ماتييو يا جاكوي؟



لم تقل جاكولين أية كلمة، بل أخذت تحملك بغياها في علية الزعتر التي بين يديها، وحيوة قفز شيء ما بداخلها وتدفقت كلماتها:

« أه يا ليزا، ليس كل شيء على ما يرام... لقد كنت غبية جداً. وقررت أن أترك هذا البلد. لم أعد أحمّل أكثر من هذا. يجب أن أرحل. افقتت عما يدور في أعماقها. ها هي قد أخبرتني بما قررت، لا بأس قليلاً صديقتها. سألتها ليزا وقد هوت يدها على التفتحة الطويلة.

« انت... ماذا؟

« سأقدم استقالي.

« ماذا؟

« لأنني لا أحمّل وجود ماتيو حولي أكثر من هذا. إنه لا يريدني. كان الشهران الماضيان مزعجين للغاية. أننا لا ننسجم ونشاجر بصورة مستمرة.

ترقرقت الدموع في عينيها ثم انسابت فوق وجنتيها:

« أنك تحبته يا جاكوي.

« أعلم، أعلم ذلك لكنه لا يريدني.

وضعت ليزا يدها فوق كتفي جاكولين، ومسحتها بإتقان غرفة الجلوس قائلة:

« تعالي تجلس، أخبريني ما حدث.

« أنه يظن بأنني فتاة رخيصة.

« ولماذا يظن ذلك؟

« حسناً، أه يا ليزا... ماذا أخبريك؟ شيء خفيف أنني عرجة تماماً.

« أخبريني ما هناك.

أخبرت جاكولين ليزا بما يؤرقها. تدفقت الكلمات واحدة تلو الأخرى.

كانت جاكولين تنظر إلى الأزهار وهي تحدث ليزا، دون أن تنظر إليها. وبعد أن انتهت جاكولين حديثها قالت ليزا:

« الأفضل أن تخبري ماتيو أنك توفين أن تغادري أكراماً.

لم تلاحظ جاكولين أنها جمعت قبضة يدها. كانت صورتها تلوح أمامها. مضت شفتيها وهزت رأسها بياس:

« لن أخبره حتى يأتي الأشعار من المكتب من نيويورك.

لم يقل طلب جاكولين بالنقل من غابا إلى النيجر أي حواس الذي المسؤولين في نيويورك.

ارتفعت يدا جاكولين وهي تنابع قراءة الرسالة.

« أنا بحاجة إليك في غابا لأنك تقومين بعملك بشكل ممتاز ولا تريد أن نخسرك هذا.

ومع أنها تعلم هذا إلا أنها تمسك أو نظروا إلى الأمر بشكل جدي. وبينما كانت تنابع القراءة لاحظت الموافقة بين السطور:

وبما أن البرنامج في النيجر اتسع بشكل يثير الاهتمام في العام الماضي،

فإننا بحاجة إلى موظفين آخرين. ونظراً لأن جاكولين تتمتع بخبرة اكتسبتها

في غابا، ونظراً لأنها تحيد الفرنسية، فإنها بالتأكيد تستطيع أن تملأ الشاغر.

« ولكن رجاء، مضت الرسالة تقول، هل تعيدين النظر في طلبك؟ لأن

تدريب شخص آخر في مكانك سيضيف عبئاً إضافياً فوق كاهل السيد سيمونز.

التي لا أهتم فكرت جاكولين بمرارة. ليتعذب قليلاً. فإنه يستحق ذلك.

ثم تابعت الرسالة:

« أننا لا نعلم المشكلة التي تواجهينها هنا ولكن إن كان حلها بأيدينا

فالرجاء أن تعلمينا بذلك.

حسناً: أنهم لا يستطيعون حل مشكلتها هنا. ولكنهم يستطيعون

توحيدها في النيجر. وسيفعلونها إلى هناك. إن لم تعبر رأياً. هذا كل ما

كانت تبتغي أن تعرفه.

أعادت الرسالة إلى المثلث، وتلفتت الصعداء.

يجب أن تخبر ماتيو الآن. حاليها شعور بالاضطراب والذلة. وعندما

فكرت به. لا لن تحبها الآن وقد تفعل بعد الظهر. إن ماتيو يقضي نهاره في مشروع النعاج، ولن يعود قبل الساعة أو الثامنة مساءً.

تناولت عشاءها مكررة. ثم جلست في غرفة الجلوس تقرأ كتاباً.

وترشف فتجاناً من القهوة. لم تستطع أن تقرأ. كانت مضطربة وعصية

المزاج. وكلما سمعت صوت سيارة عند المصطف زادت خلجات قلبها.

ومنها كانت تفكر لتذكر فجأة وبوضوح ان هذه ستكون النهاية . ان ذهائيا للنجار سيفعل جداً لكل هذا . سيخمد بخصيص الأمل الذي أخذت ثمره بين جنابها . سيخرج مائود من حياتها ولن يراه ثانية . ولكنها مستعصم الى اختياره من طريق الشركة .

تصورت نفسها في النجرات . في مدينة جديدة . . ومكتب جديد ، ورئيس جديد وبداية جديدة . لن اكون سعيدة . فلنكنها شعور غريب سأورثي نفسي وأبكي لفترة . ولحسن حظي فإن الدموع تجف بسرعة في هذا المناخ الصحراوي . حاولت ان تسلي نفسها بلقاء هذه النكتة . ليس هذا مضحكاً . شعاني كثيراً من الوحدة لا داعي للقلق . لن تكون الظروف التي ستواجهها هناك أسوأ من هذا الوضع ، والذي استطاعت ان تتكيف معه . كثيراً ما حلمت بالكصحراء . فيها هي الفرصة مؤاتية لتحقيق حلمها . ان تيجري صحراء ، فيها الكثير من الرمال والجبال . ولكن منها حاولت اقتاع نفسها ودعم مخزواتها ، فانا ليست متحمسة في اصحابها لتكسب خبرات جديدة . فالتفت رغبها في المفامرات الميرة . لم يعد يبرها شيء بلا حب .

عاد مائود مساء وقررت ان تخبره صباح اليوم التالي . ولكنها خشيت ان يغضب الامر اصعب . على الأقل مشترك له فرصة يتناول طعامه أولاً . وعندما دخلت غرفة الجلوس الرئيسية وجلت جالساً الى متضبة الطعام ، وأمامه العديد من الأوراق المنتشرة ، كانت مستغرماً في عمله فلم يتهبه لوجودها . كانت أصوات الترسيل مغلطة بأصوات صرصار الليل تداعى الى آذانها من النافذة المفتوحة . خفت قلبها بشدة . تنفست بعمق محاولة ان تهدئ من انفعالها :

- أريد ان أكلمك يا مائود .

رفع رأسه عن أوراقه بلا تردد :

- نعم ما الأمر ؟

حل القلق مكان الغصيبة ونظرت اليه بشجب .

- اني أقدم استقالي . لقد طلبت نقلي وقد تقرر اني اتي الى النجرات .

أعجب كلامها سكون غيت . لم تأكد من معنى ملاحظه المتكلمة هل

وجهه تكذيب ام دهشة ، غضب ام خوف الى ان انفجر صارخاً :

- انت ماذا .

ارتجفت من غضب فجأة .

- هل سمعتي ؟ أملي ان تكون مسروراً الآن . لم ترغب في وجودي في

وقت من الأوقات وهذاذا انقاد المكان .

- لا لن تلعب .

شحن الجو بينها موجة كهربائية من التوتر . نظر احدهما في وجه الآخر

بغضب واحياء .

لم تكن تتوقع ردود فعله هذه . كانت تفكر بمرارة انه سيتصرف دائماً

بالطريقة نفسها .

نصب حائير ظهره وقال :

- هل لي ان أسألك لماذا ؟

- من أجلنا نحن الاثنين .

- نحن !

اجابته وثوربها عارمة ، وقلمها ترلعفان :

- نعم انت وأنا . . . اننا لا نسجم ، ولا نغفهم . بل اننا تشاجر دوماً

وعدا ما يتلف اعصابي . ليس في تبني ان اصاب بحرض عصبي بسببك .

انك لا ترغب بي ، وبامكانك ان تجد من يمل مكانك : كنت قريدة من

لوعي . ولكنني صاحبة كبرياء واباء .

أجابها بصوت هائض وغريب :

- انني لا أوافقك هل مغابرتك .

تنفست جاكين بعصب :

- اعطني شيئاً معقولاً يستوجب بقائي .

جاء صوتها عالياً ومضرجاً بالغضب ، وقلمها لا زائنا ترلعفان . هذا كل

شيء ساكنة للحظة . والتفت نظراته الغامضة والدائنة بنظراتها ، وعمس :

- لأنني احبك . . .

دار العالم من حوافه ولم تصفق ما سمعت ، لأن يفعل ذلك . . . لن

يلعب تلك اللعبة القادرة مستتلاً عواطفها ليجيرها هل البقاء . شعرت

تواضع كل شيء أمام نظريتها. فحاولت أن غشك بأحد الكرسي.  
هذه من أنفسها ونظرت في عيني:  
- لا يا ماتييو. لا. لا تجديني.

## ٩- بين أحضان الكبرياء

أعطت ظهرها. وركضت خارجة من المنزل. فمضت على وانطلقت في  
سيارتها كالنفس عليه لا تدرك ماذا تفعل. لا تدري إلى أين تذهب. كان  
جلى ههما أن تبعد عن ماتييو وعن المنزل، وعن الحقيقة المبررة. لقد سخر  
منها، ومن عواطفها الصادقة فأصابها بخيبة أمل. لم يكن ماتييو ذاك الإنسان  
الذي تخيلته.

ضغطت بقوة على عجلة القيادة. إن كل ما يهتبه هو أنه تستمر في  
عملها، لأنه سيصاب بالصداع فيها لو استلم أحد ما عملها. تذكرت  
أقواله: لن أبقى عنك ولو كلفني ذلك العالم بأسره. عادت تلك الكلمات  
تقرع غيبتها. أجل لقد أخبرها بهذه الحقيقة يوم عيد ميلادها. ليست غيبة  
لذلك الدرجة حتى ترفض، لن تقنع له العجايل ليتلاعب بها ويستغلها

كيفها يشاء.

ليس من الحكمة ان تقود سيارتها، والدروع تعمي ناظرها. قد تدعى  
أحياناً، يجب ان تأوي الى أي مكان، وان تحدث الى أي شخص. ليس  
أمامها خيار متعجب الى ليزا. .. ولحسن حظها وجدت ليزا المنزل.  
ارتدت جاكولين فوق الأريكة، وهي تجمع قبضة يديها بعصبية. محاولة ان  
تهنيء من انفعالها. سألتها ليزا بصوت منموم بالاضطراب:  
- جاكلي. ماذا حدث؟

لكن جاكلي لم تتكلم. .. وكان أحداً أقل فيها دون ان تجد الكلمات  
سبيلًا.

كما القموض وجه ليزا. اما جون فقد دس في يد جاكولين كاساً من  
العصير.

وقال:

- اشربي العصير. لا تتكلمي.

أخذت تشرب العصير ببطء. وهي تشعر بالملء الذي بدأ يوحف في  
أوصالها. لاحظت ان جون ترك الغرفة، انتهى وحدها مع ليزا التي  
سألتها:

- هل تريدان ان نتكلمي عما يقاضيك.

- نعم. نعم اعتقد هذا.

- لا تبدأي من الأول. .. تابعي في ما حدث. أخبرته انك مستقبليين

اليس كذلك؟

- نعم.

أردقت ليزا:

- ولم يبد أي حماس لهذه الفكرة.

- لا، بلعت جاكولين لعابها، كيف عرفت؟

استمت ليزا وقالت:

- مجرد احساس. هل أتبرك لهذا؟

هزت جاكولين رأسها بياس. وهي تشد قبضة يديها بعنف. وبدأت

الدروع تتراقص في مقلتيها:

- قال انه لا يريدني ان أغادر أكرأ لانه. .. لانه يحبي، أفضت

عينها، انه يستلني يا ليزا. لانه يعلم شعوري نحوه. لقد اكتشف ذلك  
وقد هو الآن ينتهز الفرصة.

- منذ فترة مضت أخبرني يا جاكلي بنفسك انه ينظر اليك ككائن مستهتر  
اليس كذلك؟

دفعت جاكولين وجهها بين يديها وقالت:

- لا أعلم يا ليزا. .. لا أعلم. لم أعد أفهم شيئاً. انه يتصرف بشكل

غريب معظم الأحيان. اني لا أعلم أبداً ماذا يقصد.

كانت دموعها تتناثر فوق أصابعها. .. لاحظت صور ماثيو أمام

ناظرها. .. قدما لها نارة قلباً وغاضباً، وأخرى صديقاً مشياً.

ضحك منها عدة مرات ليخطئها. واحترها كثيراً في تلك الليلة المخيفة  
من تشرين الأول، حتى انها تشعر بصغته المعترية، إذ سمعت كلمات لم

تسمعها طوال حياتها: ماذا تفكرين فيك طاعة؟ أشكرك لهذا العرض. ..

لكن لا أريد. .. ليس عليّ الا ان أشكرك.

ما زالت كلماته تؤلمها، وسبقني اليمه ذاتي وأبدأ. لن تنساها ما دامت  
حية.

ولكن. لا. .. لقد مرت أيام حلوة معه. عندما كان يخطئها دون

حق. ويبتسم في وجهها. ويأخذها بين ذراعيه. .. ويعانقها. .. لقد

قدم لها أترافاً ذهبية ليشكرها على لطفها. بدا غليظاً. انها واثقة من ذلك.

لقد تغير كل شيء الآن. لذا القلب كل هذا ليلة عودته من لندن رأساً على

عقب؟

دفعت عينها ونظرت في وجه ليزا:

- لا أعلم يا ليزا. .. فكل شيء حولي يوحى بالقوض. لقد فكرت

ملياً. ولكنني لم أفهم ما تعني كل هذه القوض.

أجابته ليزا:

- هل فكرت يا جاكولين ولو مرة واحدة انه يعني ما يقول؟ وانه أخبرك

الميلة بصدق عواطفه مؤكداً انه يحبك.

خلقت جاكولين في ليزا كالحمداء وهمت:

هرت ليزا وأمسها وهي تشعر بفقد صبرها:

- أرايت؟ (قالت بصوت ملؤه الألم) أرايت ما أقصده. إن أحدينا يؤذي شعور الآخر جوعاً. أنك ترفضين تصديق ما أقال. وتجهين عكس ما يقول. وكأنني اتخذت قراراً بأن تشعرا العذراء والألم ينكما. انكما تدفنان كل شيء. لذلك يربطكما تحت حاجز من سوء التفاهم. لهذا أصبحت لا تلمسين الحقيقة. هذا يحزن يا جاكلي. وانك غنية.

وبعد تفريح ليزا هذا لم تنفقه جاكولين بكلمة بل أجابت بجماد:

- شكراً. أشكرك فلقد منحني الراحة والعطف اللذين كنت أفتقدهما.

أجابت ليزا بصوت واثق:

- آه يا جاكلي. لا أستطيع أن أقصد مكتوبة الأيدي وأنا أرى كلا منكما يحطم الآخر. أعلم أنك عبيدة ومعتدة بنفسك. ولكن هذا لن يبعدك في شيء صديقني.

- أذاً. لماذا يعاملني هكذا؟ لماذا يهينني بهذا الشكل؟ أعني عندما عاد من لندن. (خفت صوتها. وهي تذكر تلك الليلة المروعة. وكلماته غوم كالأشباح من حولها).

- لا أعلم يا جاكلي. يجب أن يكون هناك سبب ما. اسأليه.

- كيف تقولين هذا يا ليزا؟ وكيف أجرو؟

تهدت ليزا وغثرت من جلستها:

- اسمعي لي يا جاكلي. علمني الزواج خلال أربع سنوات إن التفاهم لا يأتي اعتباطاً. يجب أن تسمي إليه. تكلمي... اسألي... ولا تقصني أبداً.

- ولكنني لست متزوجة ماتبو.

- أنك تخمينه. هذا هو المهم.

لم تجب جاكولين. نظرت ليزا إلى جاكولين وقالت لها:

- تفكري أنك أخبرني أنه أنى إليك ليتحدث معك على الشاطئ.

ولكنك لم تقصحي له المجال هربت... لماذا؟ لماذا لم تتجعي قرصة؟

عادت الذكريات لتلاطم في خيالها. استمساها بقرية... خوفها من أن

تسلم له مرة أخرى. يشعر أنه ما زال مسيطراً عليها.

- لم أستطع وساطة لم أستطع.

تهدت ليزا بآسفة:

- انكما من النوع نفسه. لن تفهما لبعضكما أية فرصة للتفاهم. يجب أن يحطم أحديكما هذه الحلقة المفرغة. أنه دورك الآن. أعني إذا كنت تريدني فعلاً. فيجب عليك أن تفعل شيئاً قبل عودت الأوان. فهو من البشر أيضاً يا جاكلي. أعطه فرصة أخرى. هذا أمر عائد إليك. أذهبي وكلميه. قولي أنك آسفة... قولي شيئاً.

.. لا... ليزا أنى لا أستطيع

هرت ليزا جاكولين يمشي وهي تمسك كتفها:

- جاكلي عليك أن تتخاطبي بين كبرياتك وحبك.

قادت جاكولين في وقت متأخر سيارتها بحذر وببطء تام إلى أوسو. مرت بمحطة البترين ثم بالتخيز والكنكش. وقفت بعض الناس على قارعة الطريق. يسا جلس آخرون يتحدثون. كانت حوامل الحضانة فارغة إذ عاد الباثون إلى بيوتهم. ترى هل نام ماتبو الآن؟ يجب أن تكلمه قبل أن تحذوها شجاعته في الغد. كان الطلام غمراً على غرفة الجلوس الرئيسية. دخلت الفصالة يشده... فوجدت النور مضاء في غرفة ماتبو. ارتجفت فبدأها وصحت شعرها يدها. ودفعته إلى الخلف. وهي تشعر برهوتها وتعرف جسمها. أي فوضوية المزاج. صمت لنفسها قليلاً من الشراب المالح ماتبو ثم عادت إلى الغرفة وأخذت تفكر بياس. لا أستطيع أن أتكلم معه. لا أستطيع أن أبوح له بحيي.

وفجأة قررت أن تأخذ دوراً لسنرد نشاطها. ثم ضحككت في نفسها وقالت: سأدخل إليه بعد الاستحمام فيها إذا استمر ضوء غرفته مشاع. فهذا سيكون الشارة حسنة. ومتجري الأمور على ما يرام. أما إذا أطفأ ضوء حجرته. فإن المحاولة ستذهب سدى. كثيراً ما عمدت إلى هذه الحلول عندما كانت صغيرة. معتبرة أن التقدير يحدد لها تلك الاشارات. خلعت ملابسها ووقفت تحت الماء البارد الذي أشعرها بالانتعاش. ثم نظفت أسنانها. ارتدت تنورة حريرية وقبعها ثم حزمت شعرها إلى

الأعلى. نظرت الى نفسها بالمرآة، فثاء متفوسمة لطيفة، لا تقضي هكذا انفعلي اليه. خذتها على الاغلب شجاعتهما. عبرت غرفة الجلوس ماشية على رز ومن أصابعها الى الصالة، وأغمضت عينها. ثم أخذت تفتحها ببطء. كانت الضوء لا يزال مشعاً. زادت ذقات قلبها، وملا الرعب حنجرتها. ماذا سأقول له؟ فكرت وفكرت أخذ غصبتها يتناغم في أفعالها. سبعتك الكلام هيا... تنفست بعمق وقرعت الباب وقيلماها لتخفان.

- من؟

- التي جاكلي.

- صاد صبت مطبق لبرمة.

- حسناً، ادخلي.

كان جالسا الى مكتبة ينطاله الجيز وقصيصه، والكيف يدوي في الغرفة ويرجها، أغلقت الباب خلفها يدها وامسكت اليه.

- حسناً، هل بإمكانك مساعدتك؟

كان وجهه ناعماً دون أن يحمل أي تعبير خاص.

قالت بصوت منقطع:

- أريد... أن أحمل.

- لماذا؟

أصبح صوته أكثر رقة وبعداً...

- أريد أن أحمل عما فلك في تلك المناقشة الغبية التي خضناها معاً هذا المساء.

حرك رأسه قائلاً:

- تناسها.

كان فلها جافاً:

- لا... لا... لا أريد أن تناسها.

مز كتفيه:

- لا أعلم ماذا تفعلين... المعنى ما يحمل لك.

أن كبرياءه عتيف أيضاً. إن ليزا على حق. لقد ألك بدوري. أما الآن

فانه انسحب ليخفي تحت هذا القناع السخيف من اللامبالاة الذي لا نستطيع أن نتجاوزه. انه لا يريد أن يساعدنا لتدرك لوقوفه، فاعتزها موجة من اليأس، وعصت شفتها حين قال:

- متفادين أكثر سريعاً وسيبتغي كل هذا.

لم ينظر اليها كانت عيناه متعلقان بشيء ما على المكتب.

- اني لا أريد أن أختار أكثر يا ماتييو.

شعرت انها تنهار من صخرة عالية الى الأسفل وإلى الحضيض.

أطبقت أجنافها بعنف ثم فتحتها ثانية.

علا وجه ماتييو قناع من اللامبالاة. لم يكن هذا هو الانطباع الذي أخذته وكأنها وقعت في دوامة. لا نستطيع أن نعظم قيودها. حاولت الاحتفاظ بأفكارها واضحة. ولكنها فقدت قدرتها على التفكير. عادت كلمات ليزا تفرق أذهانها. يجب أن يزال أحدكم الحلقة المفرغة. انه دورك الآن. فقدت كلماتها دون أن يسيطر عليها:

- اني لا أريد أن نتنازع أكثر من ذلك يا ماتييو. إن هذا مؤلم كثيراً. كم

أود أن أختار أكثر لا لآني أكرهك... ولكن لأن... لأن... عصت

شفتها كي تحقق من حدة ارتعاشها، فذاقت صرختها المألوفة. أدرت انها تتخاضل هكذا، لأنني لم أعد أحمل يا ماتييو أكثر من هذا. لقد ظنت أنك

تلاعب بي... وتعاملني بفتاة مستهتر.

غطت وجهها يديها وتساءلت يا الهي ماذا أخبره... سينفجر سائخراً.

قال بصوت منخفض:

- لم تصدقيني.

رفعت رأسها مندهشة لسماع صوته الذي تبدل فجأة ونظر اليها.

- ونفست ان تكلميني ولم أجد وسيلة أخرى أخوض بها غمار نفسك. لم

يكن لدي أكثر مما قلت. ولكنك لم تصدقيني. أشاحست بنظرها عنه فلم

تجعل ان ترى الألم واضعاً في عينيه وقالت:

- لا.

- لماذا؟

- لم أكن أتوقع ذلك... ظننت أنك...



- اني أقول عليك لاحظ بك في الوظيفة.

- نعم.

- لست أنا يا جاكى الذي يتخذ من الحب وسيلة، نظر إليها بعينين سوداوين داكيتين وقال:

- بكفى ما يعاتبه قلبي من مرارة. أريد ان أحيا بالحب.

دايانا انها دايانا دوماً. كان عليها ان تسأله عنها الآن: يجب ان تعلم...

- هل أحببت دايانا؟

- زم فمه وقال:

- دايانا... هل أحببت دايانا؟ لا ليس كلمة حب صحيحة في هذا المجال. كنت مهووساً بها، ومأخوذاً، أحرق ومجنوناً وأدركت هذا الآن. غلغل أصابعه في شعره وبدا متعباً ومرهقاً. بلغت جاكين لعابها، وسأله بصوت قلق دون ان تعلم ان كان لها الحق في أن تطرح مثل هذه الأسئلة:

- لماذا انزعجت إذن عندما استلمت رسالتها الأخيرة؟ لماذا لم تفرح ان كل شيء ينكما قد انتهت؟

- جاكى. حاول ان تفهمي. كان الأمر كاذباً وسخيفاً. لم أنشل في الحصول على شيء قبل الآن. لم أفتد شيئاً مهماً الى الآن عدا تلك الصداقة غير الممكنة. جرح كبريائي وتبدد... لم أشعر بمثل هذا الدلل أبداً في حياتي. ولكنني أريد ان أعرف لماذا تصرفت أنت بتلك الطريقة يوم عودتي من لندن؟ لماذا فعلت ذلك. لماذا؟

آخر وجهها حرجاً:

- لم أخطط لذلك يا ماتيو. اذا كنت هذا ما تحشاء. لقد حصل ذلك تلقائياً. كان ذلك للمرة الأولى في حياتي.

لم تتجراً ان تنظر في عيني.

- لقد أفرغتني.

حلقت به دون ان تفهم وقالت:

- أفرغتك لماذا وكيف؟

- كنت أغشى من انفعالي. من عاطفتي نحوك. فعدنا لمستني حركت

مشاعري.

أشاحت بوجهها عنه وقالت:

- هل كان ذلك شيئاً للغاية؟

- نعم يا جاكين انك لا تدركين هذا. لم ألق بعواطفني تجاهك. كما انني لم ألق بعاطفتك نحوي. كنت متضرجاً بالألم والغضب. لقد هزمتني دايانا. فكان علي ان ألم فئات نفسي. لم أشأ الارتباط بأي عاطفة جديدة، ما لم أؤكد منها. وعندما التفتينا، وكنت بشوب نومك ظننت انك تسجين شباكك حولي.

- لم أنسج شباكى حولك... لا.

نظر ملياً في عينيها، فشعرت بالشلل يزحف إليها، ولم تقاوم نظراته. قال ببطء:

- آسف لم أفهمك. أعتقد ان الأمور توضحت الآن.

وقف ينظر من النافذة. شعرت جاكين بالانهاك يسحقها، فجلست على إحدى المقاعد الخشبية، وبداها في حطتها. وأدركت ان هذه المحاولة لا تقودها الى شيء. على الأقل انها يتحادثان بدون مشاجرة. حدثت في ظهوره العريض وتساءلت ترى لماذا يفكر؟ بدا كل شيء معقداً للغاية. ولجأة قطع ماتيو حبل تفكيرها:

- تعلمين يا جاكى اني رفضتك عندما أتيت الى هنا لأسباب شخصية، وأخرى تتعلق بالعمل. ولكن ثبت لي فيما بعد اني كنت مخطئاً. (نظر في وجهها وتابع) انك كل شيء. لم تستطع دايانا ان تكونه. لك قلب وعاطفة. (توقف قليلاً ونظر إليها بعينين عميقين) انك تحبين عملك، وأعتقد عليك. بدأت أفدرك على المستوى المهني... وما لبثت ان أعجبت بك ك امرأة. لم أتح لمشاعري ان تتدفق، ولم أعرها أي اهتمام الى ان ذهبنا الى تامل. داعمي شعور مفاجيء. بأنى أحبك، ولكنني كبحت جماع نفسي وبسرعة. لم أكن مستعداً للحب. لم أشأ ان أتورط وبسرعة للمرة الثانية. ولهذا ارتكبت بعض الأخطاء، (تهب من أعماقه) لا أعلم ان استطعت ادراك ما جرى بعد هذا الحديث.

- اعتقد هذا.

أصبحت تصرفاته واضحة الآن. ها قد بدأت تفهم لماذا انسحب فجأة عندما كان يعانقها في تامل. لماذا لم يعانقها بعد ان عادا من العشاء يوم عيد ميلادها.

كان ماتيو لا يزال واقفاً أمام الثاقله يحمق بها وتابع:

- وكان هناك ديفيد يا جاكليين.

- ديفيد؟

- لم استطع ان اُخيل مدى علاقتكما. لم افكر ان حياً يربطكما لان الاختلاف واضح بينكما.

غضت حنجرة جاكليين باليأس:

- آه يا ماتيو، لماذا يبدو كل شيء معقداً هكذا؟ لم أشأ ان يكون كذلك اني وديفيد...

- أجل. لقد أخبرني ديفيد كل شيء في سهرة حفل الشاطئ.

- ماذا أخبرك؟

- قال انكما صديقان. (وسكت مدة طويلة ثم أضاف) وانك التي أردت ان تستمر علاقتكما كضرب من الصداقة.

هزت رأسها بالانجذاب.

- لم يفهم أحدنا الآخر بشكل جيد يا جاكليين أليس كذلك؟ وإذا قررت البقاء، فانتا ستبدأ من جديد. ستأخذ الأمور ببساطة وبلا تعقيد.

- نعم سابقى.

مد لها يده وقال:

- تعالي الى هنا يا جاكليين.

مشت اليه كاللهولة، ووضعت يديها في يديه.

- انظري الي.

خيم السكون... والتفت عيونها باحثة عن الحقيقة.

قال بحب وحنان:

- أحبك يا جاكليين.

- أحبك يا ماتيو.

لم يحدث شيء خلال اللحظة المؤلمة التي مرت. ثم عانقها بحرارة فشعرت بشرارة تعاود أوصالها. دفنت وجهها في صدره. حتى انها لم تتنفس الا بصعوبة. مهمهم قائلاً:

- يا الهي. لماذا فعلنا كل هذا ببعضنا؟

وبحركة عنيفة رفع وجهها اليه وعانقها. لم تقاومه... استسلمت اليه بكل قواها. متخيلة عن انزائها. لا شيء بعد الآن. فموجات الحب تندفق في أعماقها. أبعد ما يلطف ونظر الى وجهها قائلاً:

- أسف يا جاكليين لأنني جرحت كبريائك وأنتك تلك الليلة عندما عدت من لندن. لم أفهمك...

- ماتيو...

انصرفت دموعها بغزارة. لم تعد تتحمل أكثر.

- لا تبكي، لا تبكي.

ضمها اليه بركة وأخذ يمسح شعرها بين يديه.

- انك لا تقدر ما هو شعوري؟

لم تسعفها الكلمات لتعبر عن فرحتها وسعادتها.

- أعرف، أعرف.

نظر في عينيها وقال:

- عانقيني يا جاكليين.

رفع رأسه بعد لحظات يهدوء ونظر في عينيها بعشق، وشم بصوت منخفض:

- أحذرك يا جاكليين. انه لمن الأفضل ان تقبلي بي زوجاً. وياك ان تقولي انك لا تؤمنين بالزواج.

ضحكت جاكليين بركة وقالت:

- اني متمسكة بالتقاليد التي تخص الزواج. أريد زواجاً حقيقياً. مسجلاً تربطه روابط حقيقة وكل الاجراءات الرسمية.

- رائع. هذا ما كنت أمني ان أسمعه.

عانقها بحب وقال:

- انك لطيفة وناعمة وجميلة. وأحبك... أحبك حباً يفوق الوصف.

وفجأة خيم ظلام دامس على الغرفة. ثم توقف صوت المكيف مصدراً  
شهقة، وكأنه مصاب بالربو همست جاكلين بأذن ماتيو:  
- سأحضر بعض الشمع.

عانقها بشدة وهمس:

- لا... ليس الآن.

# روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 160

## لولا هيأى

لا تعرف النفس اين تولد وتميش ونجد السعادة. جاكلين ولدت وترعرعت في غانا ودرست ونحرجت من اميركا. وظل وهج افريقيا يناديا للعودة.

عادت الى أرض الطفولة مسلحة بالمعرفة والخبرة، ولكن صدمتها كانت كبيرة حين قابلت رئيسها الذي رفض كونها انثى وكان قاسياً معها. . . نأذها وأبدى عدم اعجاب به بمؤهلاتها. . .

لماذا؟ سألت جاكلين نفسها، ما سبب هذه الكراهية، هذه الحرب؟ نشب بينها عدااء لا يقاوم. . . ولكنها لن تعترض لعله

يكشف كفاءتها بنفسه. اخيراً عرفت بأن قلب ماتيو سيمونز مجروح. . .

ديانا الجميلة رفضته وهجرته، حاولت جاكلين التقرب من ماتيو فشلت. . . وعندما قررت الابتعاد فشلت ايضا فقلها رفض تنفيذ الأوامر!